الجميلة والشباك

للشاعر/ سيد الجهني

حقوق الطبع والنشر محفوظه
لدار الأديب للنشر والتوزيع

اسم الدار	دار الأديب للنشر والتوزيع
اسم الديوان	الجميلة والشِبَاك
اسم المؤلف	سيد الجهني
رقم الإيداع	(٢٠١٨/٢١٧٢٩) بدار الكتب المصرية.
الإخراج الصحفي	دار الأديب
الغلاف	من تصميمات الدار.

الإهداء

أن الحمد لله ربي جل علاه والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد ..

والمرء لا يكون حكماً ومقيماً لنفسه مهما بلغ من علم ومعرفة إنما هي المادة الفعالة والأسلوب اللذان يشدان المتلقي.

وها هي حروفي أيها القارئ الكريم بين يديك وملكك فلا تتركها دون أن تتذوقها.

جميل حبي وتقديري

الشاعر

سيد يوسف مرسي

((الجميلة والشباك))

الفصل الأول
ثوب من غزل الحياة
الجميلة والشِبَاك

هذا هو الريس فهيم، عاد حاملاً فأسه على كتفه ،لم يتغير منذ أن كان صبياً صغيراً، قدماه حافيتان لا ينتعل في قدميه حذاء،يكاد يصل طول قدمه إلى أربعون سنتيمتر وجلبابه ملطخ بالطين والعفر. لا يعرف طريقاً للملابس البيضاء، فهو لا يحبذها أو لا يحتاجها، فحياته كلها كدح وشقاء. يرتدي دائماً الملابس السمراء والسراويل الطويلة التي تصل أسفل ركبتيه، فإذا ما عاد للدار خر صريعاً ملقى على ظهره أو جنبه قد يأتيه طعام فيأكل ، وقد لا يستجيب لنداء زوجته وبناته من أجل الطعام فسنة من نوم أفضل ألف مرة من أن يأكل ، إنما يستجيب للنوم والراحة إنه منهك مجهد على الدوام تزيد الشمس من لفحة وجهه فيزداد حرقة وسواداً بالرغم من كثرة التجاعيد التي تعلو جبهته والتي كالطرقات في تفرعها وامتدادها لا تُعرفُ لها نهاية فإذا انتهت تجاعيد وجهه انتهت ملامحه . متعدد الزوجات وكأنه بين كر وفر بينهن ،فيهن من أبت القعود معه ،ومنهن من لم يسترح لها ،فتعدد زوجاته مقرون بتعدد همومه ،فحياته شاقة وعيشته ضنك ، لم يستطعن العيش معه في شقاءً وكدٍ طوال يومه ،أنه لا يستريح ولا يجلس في الدار يومه . تصفه إحدى زوجاته المفارقات له ، أنه مثل الثور المعلق في الساقية أو مثل(وابور) الطحين لذلك لم تعمر معه النساء طويلاً وكأنهن ينجين بأبدانهن فراراً من هذا الشقاء الذي يأكلهن ويسلب أجسادهن وصحتهن فلا سعادة في بيت فهيم تنالها امرأة إلا تلك التي ظلت حتى فنيت من أمامه فقد أفناها الشقاء وأصابها المرض وعجزت عن الحركة وظلت تعوي في هجيره وتحت قيظه حتى فارقت الحياة .تاركة له خمسة بنات

تركتهن وهي تنظر إليهن بشفقة ورحمة ولسانها رطب بالدعاء لهن ، تتمني لهن السعادة وتأمل من الله لهن رزقاً واسعاً وعيشاً رغداً حتى لا تكون حياتهن مثل الحياة التي عاشتها أمهن في منزل أبيهم ، لقد ماتت صفية والدموع من عينها تنهمر خوفاً وجزعاً على بناتها ،لأنها تعرف قسوة الأب ،وقسوة وظروف الحياة الشديدة لقد جزعن بناتها على فراقها وبكين بكاءً مراً، فأصبحت الحياة أمامهم أشد قسوة بعدما غاب الظهر والسند لقد رحلت التي كانت تخفف عنهن وتلاطفهن حيثما يعدن بعد عناءٍ النهارِ،وما لقين من تعب وسمعن فيه من الكلام ما يُسممٌ به البدن ،كانت دائما تقف أمام سطوة أبيهم وغلظته بالمرصاد محتملة أشد العقاب من سبٍ وضربٍ وركلٍ بالقدمِ ،لقد كانت امرأة صبورة جلدة فحق لها أن تعمر بعض الشيء مع الريس فهيم ، وهذا ما ساعدها للتحمل والصبر ، ظروف مشابهةٍ تركتها خلفها عند بيت أبيها وأهلها ،فأثرت الجلادةً وتحملت مالا يطاق فلا فرق بين هنا وهناك ،ولذا فما الذي أوقعها مع رجل مثل الريس فهيم ؟؛ لكنها الآن رحلت وتركت خلفها كل ما أجهدها وبالرغم مما لقيته في دار الريس فهيم فهي تنام مؤرقة من شيء واحد فقط ..... فقط ،غلظة الأب وشدته على بناتها ،لقد كانت تأمل كما يأمل الريس فهيم أن يرزقهما الله بولدٍ ، فهو يكره البنات ولا يهتم بهن،ولقد عرفت ذلك من معاملته للبنات ، دائماً ما يقول ولا يخفي قوله ،كان بودي ولداً يساعدني ويخفف عني حملي وأثقالي ،لكن شاء القدر أن لا يرزق بهذا الولد من صفية أو غيرها من زوجاته ،وتمت إرادة الله وتقدما في السن وسرى المرض وتملكها في جسدها الواهن الضعيف فمضت الأيام وتوقف العدُ ،لكن البنات سرعان ما شببن واستدار قوامهن وأصبحن محل نظر الطامعين وبدت عليهن علامات الأنوثة الحقيقة ،التي إن دلت فأنها تدل علي وفرة الجمال واكتماله عندهن جميعا بالرغم من الفقر المحيط بهن ،فكان هذا الجمال مؤشر جيد ودافع عند الناس للتقدم لخطبتهن والزواج منهن بالرغم من الفقر الذي يحيط بهن ويسكن معهن الديار .ويلازمهن العيش والسكن

فلهن جمال لا يتوفر عند غيرهن من بنات العائلات الشهيرة بالقرية ،وقد ساعدهن هذا الحظ الجمالي في الهروب واحدة تلو الأخرى من خضم هذا اليم الغادر وهذا العذاب المعيشي ،لقد كانوا ينظرن بعين الحسرة على أمثالهن أو مثيلاتهن من البنات وهن يرتدين الأثواب الجديدة والسعادة تغمرهن في وجوههن أينما ذهبوا أو في بيوت أبائهن ،كن يردن ....! لكن الظروف لا تسمح ،لقد كانت صفية تستقطع بعضاً من أجرتهن في حقول الغير خلسة لتستطيع أن توفر لإحداهن ثوباً جديداً أو طرحة تغطي الواحدة منهن بها رأسها أمام الناس حينما تخرج ،ولقد تجاوزن مرحلة أدمت قلوبهن وأجسادهن ، لقد تزوجن فراراً ونجاة من هذه الحياة التي كادت تقضي عليهن لو استمرين في بيت أبيهن على نفس الوتر والعيشة الضنكة فلم يتبقى منهن إلا واحدةً لم تتجاوز العقد الثاني من العمر طولها فارع ووجهها مشرق كالبدر في كماله بالرغم من مسحة الفقر التي تشوب ملامح الوجه ، ضفائر الشعر المدلاة والخصر المنمق الملفوف والطول الفارع والعيون العسلية الواسعة ، مهرة عربية تراها في استقامة الرقبة واتساع مساحة الصدر إذا تحركت اهتزت كأنها لوالب تشابكت تراقصت على أنغام الدفوف القارعة ، سبحان من خلق تنظر الأقران وتتحسر ، تود لو جيء إليها يوماً بفستانٍ جديدٍاً أو جلباباً جيدٍاً كما الفتياتَ من حولها يلبسن ويرتدين ؛ لكن ما باليد حيلة ، وحيدة مع زوجة أبيها القاسية ودموعها لا تنقطع تأمل الفرار وتخشى الغدر من الزوجة المتسلطة وغدر الأب قد يسلمها لأي متقدم وتقع فيما تخشاه ، أو التي هي فيه واحلة في بيت أبها من فقر وذل وحرمان فالعوز يسكنها والأمل يراودها، والدنيا لا تكتمل لأحد ، فالجمال رزق والغنى رزق وليس لها حيلة في ذلك أنها من بين خمسة مثيلاتها يتألق الجمال فيهن ويَشُدنَّ إليهن الأنظار لكن الفقر الذي كاد يقف سداً عائقاً لهن وماذا يفعلن؟ وقد احتكم الأمر فلا مفر من قدرها المحتوم إنها تؤجر للعمل في حقول الغير وزوجة الأب لا ترحم والأب في دنياه العضاضة هائم على وجهه، وماذا بعدُ؟ إنه القدر

والعرف السائد عند الناس والدنيا المقلوبة فلا حاجة للناس فيهن ماداموا فقراء والعيون المفتوحة والإغراء حولهن يأكلها وأصحاب الشهوات المكبوتة يلاحقنها كأنها فريسة خلقت للوحوش الضارية ؛ داخلها بركان متأجج يلوكها حرقاً والسدود كثيرة وعالية ، العادات ، التقاليد ، العرف السائد المتبع والذئاب التي تحوم حول الغنم وتتربص بها ، لولا يقظة الراعي لافترس الذئاب الغنم وبالرغم من الفقر الذي يحوط الريس فهيم إلا إنه يحاول أن يكون حارساً بالرغم من ضعفه وفقره فيتخلص منهن واحدة تلو الأخرى فإذا ما تقدم إليه حتى عابر سبيل وافق على زواج من طلبها منه والتخلص منها المهم عنده أن يجد من يقوم عليها ويحرص عليها ويصونها ويطعمها ويسقيها ، رجل فقير والبضاعة جيده والقادم مشتت بعيد يبحث عن مواصفات لا تتوفر في مثل بنات الريس فهيم كالعزوة ، والجاه ، والمال ، أما هن ، لا يتوفر عندهن ما سبق ، إلا الجمال وحتى الأخلاق قد أصبح الناس لا يهتمون بها، وليس لأبيهن طلباً ، غير السترة ،وليس من حقهن الرفض أو القبول ويضربون مثلا في ذلك (ظل رجل ولا ظل حيطة) عندما تعثر الواحدة على زوج فقد حازت على الدنيا بما فيها ،لأن ذلك سيكون فرجة لها من العمل في الحقول ونظرات الناس لها ، وستفتح الطريق للتي تليها ، ويخف العبء عن كاهل والدها ولقد جاء دورها بعد إخوتها وتقدم إليها رجلا مسناً ابيض شعره وبدت عليه علامات الوهن وانحناء الظهر ، عمله بسيط ، فهو يعمل صانع أسرجه للحمير والبغال (برادعي) كما يقولون : ما أن تقدم حتى تمت الموافقة لم يُأخذ برأيها ولم تُسأل في أمرها ، جلبت إليه بأقل مهر (ثمن) ،وسيقت إليه كما تساق الشاة إلى السوق يجرها خلفه أدخلوها عليه في حجرةٍ ،بالكادِ تكون قبراً فيه سراجٌ زيتيٌ مشعل يتصاعد دخانه في سماء الحجرة ،نظرت بعينيها وغاصت في تيه عميق وفاقت على الصدمة الكبرى وقد تيقظت فكره الهروب عندها ، لماذا تدفن حية لماذا يكون مصيرها هذا القبر ؟ ولا يمكن أن مثواها هكذا ولا أمنيتها أتقضي حياتها

موت بعد موت ؟ هي التي كانت تتطلع وتنظر إلي السماء تدفن بهذه الطريقة تظاهرت بالرضا حتى تُتاح لها الفرصة كي تفك نفسها من خيوط الشبك والأسر التي وقعت فيه ، أوهمته بالذهاب إلى الحمام لقضاء حاجتها وقد أسدل الليل ستره ووضعت يدها على مقبض الباب وهو جالس ستنظر الفريسة ويمني نفسه بليلة حمراء مع أجمل غزال وقطعت أول خيطاً من خيوط الشبك ؛و كتمل لها الفكاك والتحرر وغاصت في أعواد الذرة لا تخشى ليل ولا ذئاب وإنما يؤنسها رغبة قوية أن تعيش الحياة حتى لو نبحتها الكلاب ،ودلت عليها النجوم التي كانت تخاطبه.

❋ ❋ ❋

الفصل الثاني
متى تصل الطريق؟

فصل من فصول روايتي (الجميلة والشباك) لم تغادر منطقة الخطر لم ترحل بعيداً ،إنها في دائرة الظلام يحركها الفزع من المجهول الذي تخشاه قرأت عواقب فعلها ،توجست في الأفق ومضاً يقتل ظلام الليل الجاثم على صدرها وفوق رأسها راحت تعدو بلا وجل متناسية غافلة عن أي مخاطر قد تلاقيها في طريقها ، مرت عليها تلك الليلة جبل من حجر صوان ، وأطبق الليل بكامل قوته وجبروته ، وكلما قسا عليها نهرته ، فهزمت الخوف بالعناد ونحتت لنفسها معبراً في بهيم الرؤية وطأ جوانبها فلم تهاب الليل ولا الوحوش التي تسعى لصيد فرائسها بين أعواد الذرة المتشابكة ،دموعها لم تجف وأنينها لم يكف وارتعاشها مستمر ،كلما سمعت أذناها خربشة الأوراق التي تخدش السكون ويرعشها الهواء أقتُلع قلبها من صدرها وسقط في الأرض ، تكتم صرختها وهي تكمم فمها وتطلق بعدها زفرة عريضة وهي تحدق في الظلام لعلها تجد لها ركناً تأوي إليه ،لكن لا جدوى فيما تريد الآن ،قبعت بين هواجسها وتحاملت حتى بزغ فجر النهار وأطلت عليها الشمس وهى تعرج في كبد السماء ،لقد أطلت الشمس علي الدنيا تبث وتبعث فيها الحياة ، فإذا هي قد اشتد

بها الخوف أكثر من أن يراها أحداً ويتعرف عليها أو يدل عليها أهلها ،فهذا الويل كل الويل لقد تشوقت إلى الطعام وهي تسمع عواء بطنها وأحشائها لكن من أين يأتيها ،تشوقت إلى غطاءٍ تبتغيه لجسدها الذي أنداه الندي المتساقط على أوراق الزرع لكن من يأتيها ؟ هل تعود إلى أبيها؟ ،وماذا سيكون شأنها؟ ،سيقتلها حتماً ؟ أم أنها حفرت قبرها بيديها وتصرفها ؟ ،لا لن تعود ولماذا تعود في كلا الأمرين عذاب حتى لو لم تمت ،لقد كان في داخلها صراع محموم ،يصعد بها إلى السماء ويعود بها إلى قبرها في الأرض وقد اختارته لنفسها ،لقد ضاقت عليها الدنيا بما رحبت ،فما من ملجأٍ ، ولا شفيع لها إلا الله ،تقف عيناها على شجرة سدر يفترش ظلها الطريق ويغمر حافة الحقل الذي تختبئ فيه ،أعواد الذرة عالية مرتفعة متشابكة ،ماذا لو جلست قريباً من الطريق ،لقد بدا عليها التعب والإرهاق ،ثقلت رأسها فوق جسدها والدنيا تدور كالرحى في عينيها ، والصور أصبحت في عينيها متعددة ،كأنها علي وشك من فقدان البصر ،راحت تجر قدميها في إعياءٍ شديد تكاد تسقط علي الأرض ،مدت يدها كأنها تتحسس جسد السدرة ،أو كأنها تتأكد من الوصول .....ألقت بنفسها حميدة وهي حذرة وجعلت من الطريق مصدراً لبصيرتها وبصرها هوت إلى السدرة كأنها تهوي إلى باب الفرج ،لقد أحست ببعض الأمان وأحست بروحها قد ردت إليها ،واتخذت من جذعها متكأً ،فهي شجرة عتيقة غير عقيمة تمد غصونها وتتدلى فروعها وتتشابك فتشجي بالظلال والهواء الربيعي عندما تحركها الريح ، وضعت يدها على الأرض تسند ظهرها ، وتلمس أناملها ثمار السدرة المتساقط على الأرض بفعل الريح ؛لقد جاءها الطعام رغداً وأي طعام فاكهة تروق للجميع ، حباتٌ من ثمار السدرة ،فكثير لا يهتم بها الفلاحون بتلك الثمار يتركونها للطير أو التلف فتمتلئ بها الأرض ٠وقد دب بجسدها العزيمة والهمة وهي تلتقط حبات السدر من على الأرض كي تقتل الجوع الذي يكاد يعصرها أو تلقى حتفها ،ظلت تأكل بنهم ولم تتوخ نوى الثمار حتى ابتلعت البعض

منها،وذلك لا يؤثر معها ولا تخافه مع واحدة مثل حميدة ،فقد تربت على الجفاف والعيش الصلب ،ومعدتها جاهزة مثل الزرافة قوية وجدارها متين تستطيع أن تطحن الزلط لو دخل إليها ،وحين أحست بالشبع جمعت من الثمار شيئاً يكفيها لأكثر من يوم وكأنها وجدت قوتها فتستطيع العيش دون الحاجة إلى الخبز أو من يطعمها ، قبعت تحت الظلال وأسندت رأسها وغاصت في يمها الغاضب تضرب أحداقها في المدى قد يأتيها الفرج ، أو تستريح بعضاً من الوقت وقبل أن تذهب إلي المجهول ،لكن الدموع لا تتركها وعيناها لا تكفان عن الخرير وأجفانها تخشى الخشوع تلالي وتحدق في نجوم السماء تدعو ربها وما هو ببعيد عنها لقد غابت عن الوعي رغما عنها وراحت في ثبات عميق ليس نوماً وإنما غياب التيه الذي يخالطه الأنين والوجع ،وتمر الدقائق والساعة تلو الساعة ولا أحد يراها وما الموت عنها ببعيد ،إنها تدرك أن الأمر ليس سهلاً لكنها مصرة ألا تعود مهما كان الحساب والعقاب لها ،ومهما كانت النتيجة بالرغم من الخوف الذي يسيطر عليها والرعشة التي تلازمها ، مسكينة حميدة يجري الفقر وراءها ويتملكها ولا يريد أن يذهب بعيداً عنها ويتركها كأنه مرض عضال أصيبت به هي وعائلتهاتخرج من جوفها صرخة .....وهي ترى يد تمتد إليها وصوت يحادثها ووجه رجل يتفحصها لقد ألقى إليها الخوف والفزع وأشبعها رعباً . ما لم يكن له وجود في رأسها ....تهب قائمة ..! تنظر حولها تدور برأسها لا أحد ، تجلس مرة ثانية وتحاول أن تغمض عينيها لكن عيناها لا تستجيب ،لقد تذكرت حميدة صاحبتها وصديقة عمرها بنت بائعة الجميز أخت إبراهيم أبو عصعوص البنت سنية ،التي كانت دائما تساررها وتلازمها الشقاء في الحقول أثناء الرواح والعودة ،كانا يفضيان إلى بعضهما بعضاً همومها ،والأمل يجمعهما مثل ما يجمعهما الشقاء ،لقد كانت نظرتهما إلى الدنيا أوسع رحابة مما كانا فيه ، كانا يريدان أن يحلقان في سماء الدنيا مثل الطير ،كانت شهيتهما مفتوحة وبصيرتهما رائدة ،يتطلعان إلى حياة أكثر رغداً مما هما فيه من

فقر وحرمان ، صحيح حميدة لم تذهب إلى المدينة كما كانت تذهب سنية مع والداتها أو حين اعتمدت عليها أمها وبدأت ترسلها لتقضي لها بعض متطلباتها من المدينة ،فكانت ترى ما لم تراه حميدة وتلبس ما لم تلبسه حميدة من اللباس الجيد والنظافة والطعام الذي تمتلئ به المطاعم في المدينة والسكن النظيف بدلاً من الأكواخ والعشش التي يسكنون بها فكانت كلما ذهبت إلى المدينة ورجعت التقت مع صاحبتها وحكت لها عن رحلتها وعما أحضرته لأمها من المدينة ،أما حميدة فكانت تفتقد إلى مثل ما تقوم به سنية وما تحصل عليه من رؤية ، لقد كانت القيود حول حميدة أكثر وأشد ، وخصوصاً بعدما فارقتها أمها ،وأصبحت قيد نظرات زوجة أبيها لها وتحت رعايتها ، فكانت مقيدة لا تستطيع عمل شيء دون الرجوع إلي زوجة أبيها ، وكثيراً ما كانت تشكو إلي أبيها منها فتنال قسطاً وافراً من الضرب المبرح والسب ولا يوجد بالبيت من يرفع عنها ويمنع عنها العصا التي تسقط و تنزل على جسدها النحيل وهي تتلوي كان الحلم يجمعهما مع الشقاء الذي يوحد بينهما ،لكن سنية فارقت حميدة على حين غرة ، لقد وجدت مدرجة غارقة في دمائها بجوار (زريبة) أبو طاقية ، لم تنس حميدة منظرها وأهل القرية يلتفون حول جسدها الممد ،وعيونهم زائغة ورؤوسهم منكسة ووجوههم مكتئبة وأفواههم مغلقة مكممة ،لقد كانوا كالأصنام والتماثيل التي رصت في طريق معابد الملوك والآلهة الفراعنة في حلقة دائرية تحدق عيونهم شاخصة لا ينظرون عن يمين أو شمال ،اختلطوا شباناً ورجالاً ونساء ،إلا امرأة راحت ترفع الثري على رأسها وتغطي به ثوبها وهي تولول وتنوح وتقدح بالصراخ على أبنتها ،وأخ جلس فوق رأسها يظهر الحزن والألم ويتوعد بالانتقام لمن قتل أخته وجلب له العار هو وأسرته وأهله ، .....لقد لفتها الحسرة والخوف والجزع أكثر حينما حط الخيال إليها بهذه الصورة وذكرها بها ، لكن حميدة كانت تعرف شيئاً أقرب إلى الحقيقة مما كان يثار ويقال عن سنية البنت المسكينة ، لقد كانت ترغب سنية وتتطلع إلي الزواج من أحد

أبناء الأثرياء ، حيث كانت تلتقي به على غفلة من أهلها ،وقد سول لها طموحها الزائد وتطلعها إلى حياة الثراء والنعيم أن تتزوج يوماً بأحد أبناء الأثرياء فهي تملك قدراً من الجمال والرشاقة وخفة الدم ،فلماذا لا يكون زواجها من هذا الثري ؟ الذي طالما وعدها ومناها،لكن يبدو أنه غدر بها يوماً بعد أن أشبع رغبته ونال مراده منها ، فانحدرت تحت ضعف تطلعها وصدقت هواها وهوى إرادته أملاً أن يكون منفذاً للخروج من سجن الفقر ، هيهاتَ ...هيهاتْ ، فما للشيطان صدق في الوعود لقد وقعت سنية ضحية الفقر والطموح ، أوقعها الشيطان فسلمت واستسلمت وسقطت ثم تركها لتقتل على يد أخيها الذي جلس فوق رأسها يتوعد قاتلها ،لقد ذهبت الشكوك أن صلاح بن أبو طاقية هو الذي قتلها ،لكن حميدة كانت تعلم الصواب وقريبة من الحقيقة ،وهناك من يعرف ويعلم ما تعلمه حميدة عن سنية من أهل القرية ،لكن لا يستطيعون الكلام فهذه الأمور وأنما يتهامسون به في مجالسهم ويتساررون به في الخفاء ، أنها عادة أهل الريف في هذه الأمور ،يتغامزون ويلمحون من بعيد أما حين تسألهم لا تجد غير كلمة واحدة على أفواههم (ما أخبرش) أي لا أعلم من الأمر شيئاً ,ومهما فعلت مع الواحد منهم سواءً بالترغيب أو الترهيب لا يقر إلا بهذه الكلمة ، لقد قتلها إبراهيم أخيها خوفاً من إفشاء أمرها بين أهل القرية وقد عرف أن الشيطان قد أغراها فسقطت مثل غيرها ولم يحرك ذلك للشيطان ساكناً ، وحميدة تعلم أن هروبها لا يجلب لها إلا نفس المصير لو أمسكوا بها فلن تعود وإن عادت سوف تعود إلي قبرها مخضبة مدرجة في دمائها فهي تعرف أن أبيها لا يرحمها وتعرف أن الفقراء مثلهم لا يستطيعون الحلم والاختيار،لقد أخذت حميدة القرار ولن ترجع أو تعود فإن عادت ستعود إلى الفقر والشقاء لو تركوها وإن سلمت ونجت لم يتركوها وسيكون مصيرها مصير صاحبتها سنية وبئس القرار ،

الفصل الثالث

أرادت حميدة أن تستمر في مخبؤها لكن يبدو قد غلبها قاهر الأرواح ، لقد غشاها ما غشا وهي جالسة غائبة في ملكوتها المضطرب غلبها النوم فانطرحت تحت أعواد الذرة الكثيفة والسدرة تظللها فلم تع بمن يمر قريباً منها ولا بالشمس التي أخذت ظلها معها ،إنها مثل أهل الكهف في كهفهم لا يسمعون ولا يشعرون بالشمس في حراكها إن أشرقت أو وغربت أو سكنت في كبد السماء ؛ لقد مر النهار وغابت شمسه وجاء الليل وألقى خيمته السوداء وهي راقدة ممدة لم يكتشفها أحداً ولم تستيقظ من نومها بعد ، واقترب الليل على الزوال وهي نائمة ومد الفجر خيوطه وبدت النجوم تتواري في السماء رويداً رويدا ، وراح الندى يتساقط على جسدها فأحست برعشة البرد وأرادت أن تتدثر في غطاء رأسها (الطرحة) التي تغطي بها شعر رأسها ،لكن يبدو أن الصقيع كان شديداً على جسدها الهزيل من قلة الطعام ، فتيقظت وهي ترتعش وتنظر حولها وكأنها تريد أن تعرف وتتعرف على ما حولها من وجود . انتصبت واقفة مذعورة حينما أدركت أمرها وخطت بقدمها ناحية الطريق ،فإذا بها تغوص قدميها في الوحل لقد كانت على وشك أن تغمرها المياه وهي نائمة لقد كان صاحب الحقل يروي حقله حسب دورته المعتادة ولكن لم يشعر بها ولم يراها ولم تشعر به وأخرجت قدمها وانفرجت رجليها وساحة بجسدها تنحدر ساقطة على الأرض لولا تعلقها بكل قوتها وهي تقبض أعواد الذرة بيديها حتى لا تسقط فتتبلل بالمياه ويتلطخ جلبابها على جسدها من الوحل بالطين ،ولكن خرجت منها صرخة وهي تنحدر على أعواد الذرة محدثة خربشة غير معتادة تصل إلى أذن صاحب الحقل (توفيق) ابن الثلاثين عاماً الذي تسمر مكانه وقد أصغي بأذنيه يستطلع الأمر فهذا الصوت غير طبيعي في مثل هذا الوقت وهذا المكان ، وضرب بعينيه بين أعواد الذرة وجلس وهو يكتم أنفاسه لعله يرى شيئاً أو يعرف مصدر الصوت، استطاعت أن تنصب عودها قبل أن تسقط على الأرض ولم تدرك

أن هناك من سمعها وأحس بوجودها و يحاول أن يرى ويتأكد مصدر الخربشة صارت وهي لا تعلم ....فلما تحركت أدركها صاحب الحقل (توفيق) ورآها فتاه تخرج من حقله إلي الطريق ...! ، كان الأمر في نفسه بغرابة ودهش ،امرأة في حقله قبل طلوع الشمس في دبر الليل بين أعواد الذرة ؟ لا يخلو الأمر من سوء ، صار برقة وحذر وهو يحاول أن يلحق بها ويمسك ليعرفها ويقف على أمرها فما الذي أوجدها في هذا المكان وتلك الساعة ؟، وقد تعبأ ت رأسه بالظنون وتوقف عقله وهو يحاول أن يمسك بها ويستكشف أمرها ،حتى أدركها دون أن ينادي عليها وقد أحست به وهو خلفها يلحق بها ورأته عن قرب منها ،حاولت أن تهرب ، لكن شدة الفزع والخوف قيدا حركتها فلحق بها وأمسكها فصرخت صرخة مدوية رجت الفراغ لولا أن الله ستر في تلك اللحظة فقد خلت الحقول المجاورة والطريق من المارة فتمكن منها وأمسكها وهي مرعوبة مرعوبة ...! من أنت .....؟ وماذا تريد منى .....؟ لماذا تريد أ ن تردني ؟ ، لماذا تريدون قتلى .... ؟وما هو ذنبي راح توفيق يهدأ من روعها وفزعها ويربت عليها ويطمئنها حتى هدأت واستقرت في ظنها وعرفت وأيقنت أنه لا يريد بها سوء وأنه ليس من أهل العريس ولا هو من أهل القرية التي هي منها وقد تفحصت ملامحه جيداً .....و لم يأت خلفها ليقتلها أو يمسك بها ليردها ، يبغي بها مكروه إنه صاحب الحقل والشجرة التي جلست في ظلها ،سألته وهي تتوسل إليه كتمان أمرها وأن لا يُعلم أحداً من أهلها ولا أهل قريتها بها ، واستعطفته وأقسمت عليه بكل ما هو غالي لديه عنده أن لا يردها ولا يسلمها كان توفيق في سريرته لا يقر ولا يعتقد ما يقره المجتمع حوله والذي هو جزء منه ،لقد نال قسطا من التعليم بين أهله فأهله العلم للفهم فكان مصدراً جيداً يستقي من العلم الوعي ويتمرد على العادات والتقاليد البالية المتبعة حوله بين أهله في الريف ،والتي نشأ عليها فكان كلما لاح له التمرد في أمرٍ ما ...!وأيقن أنه على حق وأن ما أتى به القوم مخالف للحق خالف القوم وتمرد عليهم وعلي عاداتهم

التي لا يقرها في ذاته ولم يقرها دين ،وكثيرا ما أنصت إليها واستمع وأقر في نفسه قراراً أن لا يسلمها ولا يردها مهما كلفه الأمر من عناء أو مشقة ،وقد بهرته بجمالها وحز في نفسه حالها ،وبذلك وجب عليه أن يتدبر أمرها،ويكتم سرها ولا يطلع عليه أحداً من الناس فكيف يكون ذلك ويتسنى له؟غاص بها بين أعواد الذرة وطلب منها الانتظار حتى يرجع إليها ،بعدما اطمأنت له بالرغم أنها لا تعرف كيف يكون مصيرها؟ ،ذهب عنها وهي قابعة في مخبؤها ولم يغب عنها طويلاً لقد ترك الماء يجري في حقله بعدما أَمَّنَ مجراه ثم ذهب حيث يبتغي ويريد ،كانت اللحظات ثقيلة والريب يفتك بها والخوف يلتف حولها ،لكن لا مناص و لا مفر إلا الرضوخ والانتظار له ،وتمر اللحظات وهي ترعى الطريق بعينيها ،وتطلق أذنيها حولها كلما جاء إلى سمعها شيئاً ، غاصت بين أعواد الذرة ، عاد توفيق وهو يحمل في يديه صرة من طعام وشراب ،لقد كانت حميدة في أشد الحاجة إلى ذلك ويعوذها غطاء للرأس أتى به توفيق كي يسترها ويغطى به وجهها ويستر جسدها ،فتح الصرة وهو يدعوها ويحضها للطعام والشراب وعيناها ترمقه كأنها تستشف ما وراءه ،مدت يدها وأمسكت بإناء الماء تروي الجسد وتلين العروق في جسدها بعد أن كادت تجف وما أن نالت من الماء ما روت به ظمأها وتناولت بعضا من الطعام الذي قدم إليها ،حتى انتشت روحها ودبت النضارة إلى وجهها كنبات ضمر عوده فلما سرى الماء لجذوره انتشى من ذبوله وضموره وراحت تتفتح كالوردة حينما يرويها الماء ، وقد أمرها بالجلوس مكانها على ألا تفارقه ولا تتحرك حتى يتدبر أمرها وتكون خطواته مؤمنة كي لا ينكشف أمرها لأحد أو يراها الناس معه ،فتكثر الأقاويل حوله وتكون هي ضحية أمام عينه للجهل والعادات والعرف العقيم ذهب وطال غيابه وهي جالسة منزوية حتى اشتدت حرارة الشمس ويشتد في صدرها الأمل الذي طالما راودها وكأنها تنظر إليه بعينيها وتخشى أن يبتعد ولا يعود صار من كثرة الخوف والظن من الهواجس التي تلهبها وتطبق عليها وتحرق ما تبقى من دم في

شرايين قلبها، عاد توفيق بعد غياب طال وقد تدبر أمره وعرف كيف يخبؤها ويحميها ،ثم نظر إليها وقال : أسمعي وهو يحثها على الطاعة وإتباع أوامره من فضلك اسمعي كلامي جيداً ونفذي ما أقوله لك بالحرف ، وإياك أن تخالفي قولي فإننا سوف نتحرك وأخشى أن يراك أحداً من الناس فيخبر عنك ونقع سوياً في المحظور أنا وأنتي فطريقنا غير ممهدة وأخشى الأمر وقد يحدث لنا ما لا يحمد عقباه ، ثم قال كلمة :وهو ينظر إليها كأنه ينشدها الحذر ويُعْلمُها بالارتحال ، كوني في قدمي ....ثم أمرها بالتحرك خلفه غير عابئ بها كأنها لا تعرفه ولا يعرفها وقد أوصاها قبل التحرك علي أن تمشي خلفه ولا تعير للناس أمراً ولا تلتفت حولها مهما كان الأمر ،أو بما يدور حولهما أو بمن يقابلهما،ودخل القرية في حين غفلة من أهلها وقد سلك طريقاً غير معتادٍ للناس في كثيراً من الوقت ومر بأحد الشوارع الجانبية التي تكاد تكون خاوية من أهلها ،ودلف في بهو باب فتح له من قبل صاحبه (إدريس) وهو يسرع منزويا وصاحبه ينظر إليهما مندهشاً وهو يصفد الباب من خلفهما ، وقد انتابه جمالها وهو مستغرب من أمرها ،ولم يطل اندهاشه فقد نبهه توفيق وهو يقول وينادي عليه ستحكي لك المسكينة قصتها ، وراحت حميدة تسرد قصتها وقد تملكها الحزن وقد هدرت العيون دموعها وغررت عيون إدريس شفقة ورحمة عندما رآها وسمع لها وهى تبكى بكاء يدمي القلوب وهما يهدئان من خوفها ويطمئنان قلبها ، حتى أطمئنت لهما وتركها توفيق وغادر على أن يأتي ليأخذها بعد ذلك ،حينما يتدبر لها الاستمرار أو الرحيل إلى جهة غير معلومة ،ثم هم بالمغادرة مرة ثانية تاركاً إياها في حماية وأمان صاحبه المختار وصديقه المفضل إدريس ،وقد أوصى بها وشدد عليه وأقسم عليه أن يرعاها في غيابه وأن لا يفرط فيها بأي حال من الأحوال حتى ولو كان ذلك مقابل حياته بأكملها ،ذلك هو مبدأ الاعتقاد والعلم الذي محيا به أعراف القوم وجعلهما محرران بعيدان عن قيود الجاهلية والتخلف،لقد خرج توفيق الذي أتى بها إلى هنا لدار تأمن

فيها على نفسها ليعود إليها مرة ثانية وتركها جاداً ومجتهداً في إيجاد وسيلة أو طريقة ينقذها بها ،وهو يعلم صعوبة أمره في ذلك المجتمع المغلق علي نفسه بعاداته وتقاليده البالية ،لقد خرج ولكن لم يعود.....! فقد طال غيابه كما قال ووعد مرت الساعات تلو الساعات واليوم بعد اليوم ولم يأتي إليها ، باتت دقات قلبها تتسارع وبدأ الحزن يخيم عليها ذهب توفيق وبدأ يمضي ويمر الوقت وقد ضاقت بها الدنيا،فمتى يعود توفيق إليها ..؟ ومتى تراه ؟، يبدو أنه خرج أو ذهب بلا عودة .....!، ماذا جري له ؟وما الذي أعاقه عن الحضور لقد وضعت أذنيها ترصد الباب لعل وعسى تسمع صوته وهو ينادي صاحبه حين يعود ويكون هو الطارق له وتفتح له الباب ،وبدأ ليلها يطول والهواجس تشعلها والسؤال لا يتوقف متى يعود؟ لقد امتلكها الأرق وقلة شهوتها للطعام وبدأ النوم يخاصمها وصاحبة الدار تراقبها على وجل ، كأنها تخشى أن تحل محلها فجمالها مبهر وصغيرة في السن ،لقد سمعت زوجها يذكر محاسنها ويوصف بريق عينيها ونضارتها ،فكانت الشكوك تعتلي رأس الزوجة ، أنها تنتظر خروجها من منزلها في أقرب فرصة وأكثر مما تتمنى حميدة لنفسها الخروج ،لقد ظنت صاحبة الدار أن تكون رعايتها ليلة أو ليلتين على الأكثر لكن الأمد طال والأيام توالت وامتدت عدة من الشهور ولم يعد توفيق بعد..

الفصل الرابع

انتشر الخبر في القرية انتشار الذر مع الريح في الخواء عم جميع أرجاء القرية ومحيطها ، فلم يعد بيتا من بيوت القرية وإلا دخله الخبر ولا حارة ولا رجلاً ولا أمرآة ولا صبياً صغيراً كان أو كبيراً إلا وسمع قصتها وقصة هروبها من زوجها ليلة عُرسها وزفافها وحيكت حولها القصص والروايات وأضيفت لها خرافات من النساء في البيوت وفي الطرقات وتناولها الرجال في نواديهم على المقاهي وفى جلسات السمر التي تجمع البعض منهم بالليل قبل أن يذهبوا إلى مخادعهم وأثناء ذهابهم لحقولهم وانتشر الخبر انتشار مثل انتشار النار في الهشيم والحطب ،كانت الناس به يتهامسون في البداية لكن سرعان ما بدا له ضجيج يسمع ويري علانية بعد أن كان سراً بين البعض من الناس ،ولم يتوقف خبراً كهذا عند حدود تلك القرية بل ذهب الخبر مع الناس حيث يذهبون وأصبح الخبر خبراً معلناً عند الجميع ووكالات الأعلام وأهل النم والقيل والقال قد وجدوا بغيتهم وأما بيت الريس فهيم فقد اشتعلت النار فيه على أشدها ولا تجد من أحد يخمدها ، والبكاءً والحزنٌ والوعدٌ والوعيدٌ في أقسي الدرجات، لقد جاء إخوتها وأزواجهن وأبناء عمومتها وأبناء أخوالها وخالاتها الكل جاء منكباً على وجهه ينظر حوله لعله يكون ما سمع من خبرٍ كذباً وافتراءً ، أنه العار الذي لفهم جميعاً وأصبحن جميعهن مهددون أمام أواجهن بالطرد ، فقد يلحقن بهن الضرر جراء فعلتها المشينة ،لقد طارت كل واحدة علي رأسها بعدما عرفن الخبر وسمعن من زوجة أبيهن وما أكثر ما سمعن من الألفاظ البذيئة والسباب والطعن في أخلاقهن ومن قامت بتربيتهن ونظراً للحالة المذرية اللاتي يتواجدن فيها تمالكن أعصابهن وكتمن غيظهن مع الحزن في صدورهن ،فماذا يقولون لها في تلك الساعة؟ لقد تلقمن الجمر في أفواههن ،ف.. لا شيء يقال ....! ، والريس فهيم جالس مكانه تدور عيناه في المدى يحرق تغبه من علبته التي كان يدثرها في جيبه أما الآن فأنها وضعت أمامه

لا يخبؤها يشعل سيجارة تليها الأخرى يخرج زفيره كأنه يخرج من عادم ماكينة تعمل بالمازوت أو القطران ،أو سيارة خف محركها يعضض على شفتيه ويكاد يأكلهما ويضرب أخماساً في أسداس وهو يقلب كفيه ،فكيف له التصرف والإمساك بتلك الفاجرة الملعونة والتي وضعت رأسه ورؤوس كل العائلة في الوحل والطين انتشرت العائلة في كل البطاح المجاورة فإذا هم كالجراد منتشرون أو فإذا هم في كل وادٍ هائمون .... وزعوا أنفسهم على الطرقات إلى جميع ما يصل إليهم في تفكيرهم وظنهم كالجراد فوق الأرض ينظرون ويسألون ، أما الزوج التعيس الذي ساقه قدره وظن أنه قد حصل على هدية ليس لها مثيل فلم يسأل نفسه يوماً ما أو أي لحظة جلس فيها مع نفسه قبل أن يعرض نفسه على أبيها ويطلبها منه ، هل هو كفء لها و لمثل من هي في عمرها؟ ،أم أنه الغرور عند بعض الناس والجهل الذي يمسك بلباب القوم ..؟ أم هو أراد أن يحصل على تلك الوردة ليقتل نضارتها و ليستمتع بها هو ولا يهمه أن الوردة لا تريده ولا تحتاج إلى مثله أنما تريد شاباً يافعاً يضاحكها يلاعبها يسعدها ولا يشقيها معه لم يعرف أن الوردة كانت تنظر إلى السماء ،لقد عافت الوردة الأرض التي خرجت منها فكانت تطلق عيناها في عنان السماء ،جعلت رأسها دائما مرفوعة تنظر النجوم وتحلق بينها وحولها تنظر القمر وتمد يدها وكأنها تريد أن تمسكه ما الذي دهاك أيها التعيس كي تخرج تلك الوردة من حلمها التي كانت به تحلم ؟، أنك أنت الجاني على نفسك هناك من الورود من لديه أسلحة يفتك بها ...! لمن يحاول أن يقترب منها لتلتهمه ويصبح في عداد الأموات ،فتخرج إفرازاتها اللزجة السكرية ذات الروائح العطرية لتغري الفريسة فتقع الفريسة في المحظور، كثيراً من الورود لديها أسلحتها المخبأة في داخلها تدافع بها عن نفسها وعن حياتها في الوجود فلا تقربها الحشرات ولا تنال منها أو يصيبها منها أذى ،لقد أقسم علوان الزوج التعيس أن لا يعود إلا ومعه فتاته وعروسته فجمع بعضاً من أقاربه وذهب لبيت الريس فهيم وجلس يضرب كفاً بكف جلس يجاوره

سويا والريس فهيم يتدبرا الأمر بينهما ،أما سالم ابن أخ علوان العريس (المتعوس) فقد كان يقف بين عنينه شيطان أزرق فإنه لا يهدأ من لحظة وصوله فساعة يلوم عمه وساعة يقذف أهل حميدة ببعض الكلام الجارح ويقفز من مكان إلى مكان وكأنه صب على رأسه دن من حميم يجب أن تعود بأي شكل أو أي لون ،لقد جعلت سمعة رجلهم علوان في الوحل وعلى السنة الناس وأضحوكة لهم وسخرية كلما مر أمامهم صار عرضة للغمز واللمز للذي يعرفه والذي لا ي رفه ،أو الذي يسوى أو الذي لا يسوى ، لكن ماذا يفعل الريس فهيم في ذلك الأمر لقد سدت الطرقات وخارت قوى القوم وتحطمت الحيل أمامهم ولا يملكون من الأمر شيئاً فالأمر يفوق طاقتهم وطاقة الريس فهيم وعائلته وأهله فلا ناقة ولا جمل .....فمن يدلهم عليها لا يملك الريس فهيم في جعبته شيء إلا كلمة واحدة يهون بها على نفسه وعلى علوان وأهله ويصبر نفسه بها ، لن تذهب بعيداً عن هنا..... فهي قاصرة لم تخرج مثل ما كان البنات يخرجن ولم تعرف من الدنيا شيء كما تعرف البنات ،سوف تعود حتماً بعد أن يأكلها الجوع أو يمتلكها الخوف ولا تعرف إلى أين تذهب ؟،سوف نعثر عليها حتماً أو يأتي بها أحد من الناس ويعثر عليها ابن الحلال فيأتينا بها ..... فصبراً يا أيها الناس .... فلن يطول الأمر وسوف تعود أو نعود بها ،فقد أقسمنا أن لا نرجع أو نعود بدونها توالت الدقائق وكبرت وصارت ساعات والساعات إلى أيام والأيام إلى شهور وهم يحرثون الأرض حرثاً فلم يأتوا بها ولم تعود وكأن الأرض انشقت وابتلعتها ، لقد أحكم صاحبها القبضة عليها وأخفاها حتى صارت للناس خبراً في كانَ؟ وصارت في عداد المفقودين فأعياهم البحث وما من سبيل للعثور عليها أو وجودها

الفصل الخامس

ما أن دخل المقدم علاء مكتبه وجلس على كرسيه وضغط على ذر جرس وضع أمامه على المكتب ليستعدي الجندي المكلف بمكتبه ليعرف أخر الأخبار التي وردت إلى مكتبه والأحداث الجارية في محيط الدائرة قبض الحارث على مقبض الباب وعلى بعد خطوتين من كرسي رئيس وحدة المباحث مقدم علاء ورفع يده لأعلى ناحية جبهته ورأسه وضرب قدمه في الأرض يقدم التحية العسكرية له ويعطيه التمام لم ينتظر المقدم علاء طويلاً وهو ينظر بعين خلسة إلى (الشاويش) ويقول: كيف الأحوال تمام: يا أفندم ...

المقدم : نسألك عن الجديد في الناحية ...؟

كله تمام يا أفندم .. .. أرسل إلى المرشد يأتيني فوراً

الشاويش : من تقصد يا أفندم ..؟

المرشد : ذكي

فوراً يا سعادتك سيكون عند (معاليك)

كان المقدم علاء معاون المباحث قد نقل في حركة التنقلات الجديدة ودفع به ليكون في هذه الدائرة أملاً أن يقضي على بعض التوترات العائلية والبلطجة أو يحد منها فكثيراً ما يشكو الأهالي من السرقات وكثيراً ما تأتي قسم الشرطة المنازعات العائلية والتي لم يفلح من سبقوه في الحد منها أو علاجها فقد كان علاء يمتاز بسرعة الحركة وقدرته على تقصي الخبر واستنباطه للحلول مع الحزم مع الجناة لذلك بعث بأمر سيادي من رئاسته ليتولى رئيس وحدة مباحث هذه الدائرة... لقد آل تقرير قدم من أحد المرشدين السريين يفيد بغياب فتاه في سن العشرين في ليلة زفافها في ظروف غامضة وأهلها يبحثون عنها ويخشون الفضيحة وكعادتهم هنا في هذه الدائرة لا يلجئون إلى الشرطة خوفاً من القيل والقال أو سؤالهم فيما يفعلون ....أراد المقدم علاء جمع بعض المعلومات عن الفتاه وعائلتها وظروف معيشتها

وعلاقتها بمن حولها في قريتها وأهلها في الدار ....وصل المرشد ذكي وهو يظهر الالتزام ويهندم من عمامته ولباسه قبل الدخول .... دق على الباب وأخذ الأمر بالدخول وأعطى التحية للمقدم علاء مرحباً به متمنيا له قضاء وقتاً طيباً في الدائرة وحظاً أوفر ، شكره المقدم علاء ولم يمهله كي يسترسل في الزبد والعجن فأين الأخبار يا ذكي تحت أمرك يا باشاً ... أنت تأمر .... المقدم علاء : كلام فقط نسمعه أبداً يا باشا ...! كل ما تطلبه .. تحت أمرك ما هي تحرياتك عن البنت الغائبة ....؟ ، تقصد البنت حميدة بنت الريس فهيم ...! نعم ... يا غبي ، أنا كنت رايح أقولك وأقدم تقريري لسيادتك ...وماذا كنت تنتظر يا ذكي.؟ أبدا يا باشا الإشارة فقط بطرف أصبعك .... تبسم المقدم علاء أبسامة خفيفة كأنه يعطيه الأمر ليدلي بتحرياته التي جمعها عن موضوع حميدة وراح المخبر ذكي يسرد ما وصل إليه من أخبار جمعها من محيط دار حميدة ومعارفها من هنا وهناك ويحشو رؤيته بين الكلام والمقدم علاء يستمع لا يقاطعه حتى وصل إلى زوجة أبيها وصب كل غضبه عليها وقد أفرد من مساؤها الكثير وأضاف من جعبته ما يجعل كل الشكوك تحوم حولها نظراً لمعاملتها القاسية لحميدة وأخوتها ..... لم ينسى المرشد ذكي أن يجمع بعض المعلومات عن زوج حميدة والتي أدت لمشاركة المقدم علاء الزوج بالشك في الزوج ولذلك ذهب المقدم علاء على رأس قوة مصغرة من جنود الحماية والمداهمة حيث بيت الريس فهيم بعد اتصاله بالعمدة وجلبهم وجلب المشكوك فيهم إلى قسم الشرطة لسؤالهم .....ألقى المقدم علاء بالمقبوض عليهم وأودعهم زنزانة القسم أو كما تسمى حجرة الحجز الاحتياطي ، وراح يسألهم واحد بعد الأخر ويشدد في اتهامه ويتوعد من يكذب عله يخرج بنتيجة أو خيط توصله لمصير حميدة لقد التزم جميع من قبض عليه رواية واحدة وتوحدوا في أرائهم بالرغم من محاولات المقدم علاء الإيقاع بهم وأحداً بعد الأخر بطرح الأسئلة المباغتة لهم لكنهم كانوا على قلب رجل واحد ورأياً واحد ، وهم صادقون فيما أدلوا به من شهادة أو تبرير

فكلهم لا يعلمون عن مصيرها شيء ولم يتعرضوا لها بسوء وإنما كان اختفاؤها من تلقاء رؤيتها وتطلعها وعدم موافقتها الزواج برجل يكبرها سنا بعقود زيادة على فقره المدقع ورثاء حاله... لم يجد المقدم علاء بغيته فيما أوكل فيهم خلاص مهمته فكان لابد من إرسالهم إلى سراي النيابة ، لتتولى النيابة التحقيق معهم ويفرغ هو لإكمال تحرياته ويقدم الجاني للنيابة بعد أن يقبض عليه فهذا ما تعود عليه في مثل تلك الأمور..... كان هذا ظن المقدم علاء ويدعم ظنه ما ألقاه إليه المرشد السري من تحريات تدعم ظنونه والغموض المحيط بتلك الواقعة ، فحميدة لم ترجع للدار ولم يراها أحداً خارجة من بيت علوان وإنما كانت مرقت تحت ستار البهيم واختفت فجأة فدارت الشكوك حول قتلها ودفنها من علوان وزوجة أبيها فهي المعنية بذلك وبأمر حميدة... رحلت زوجة الريس فهيم والزوج إلى سراي النيابة وجدد لهم الحبس بتهمة القتل وإخفاء جثة المجني عليها مع سبق الإصرار والترصد ...

❋ ❋ ❋

الفصل السادس

لقد أيقن إدريس وعرف سبب غياب صاحبه وحميدة في حوزته تقبع في بيته تنتظر عودة توفيق ولكن لا سبيل لرجوعه ...! ،لقد تدخل القدر على حين غرة ولم يكن في حسبان أي من الأطراف أن يحدث ما حدث ، ولم يك ذلك متوقعاً ، اللهم لا اعتراض هكذا شاء الله أن تظل حميدة في طوق وحوزة إدريس بعد أن مات الرجل الذي أتى بها إلى هذا الدار , إنها أمانة في عنقه, لقد قطع على نفسه عهداً أن لا يفرط فيها أو يمسها أحد بسوء, حتى يفرج الله كربها, ويفك أسرها , لقد سرى خبر اختفاؤها في القرية وانتشر مثل الذر في هبوب الريح وتناقل بين الناس وفى أنديتهم وطرقاتهم, فوجب عليه أن يحافظ عليها, بعد أن فقد صاحبه الذي أتى بها , كان يخرج من البيت ليتحسس الأخبار من الناس , ويتظاهر بالجهل وعدم المعرفة على نومه ، فراح يذهب بعيداً عن الدار ويغيب عن وجهها ووجه أطفاله وزوجته

,يلوك ما يقولون ثم يرجع إلى بيته مهموما لأمرها وما صارت إليه لقد أرقت الطرق ويجول برأسه في السماء باحثاً عن منفذ يطل منه للخروج من هذا النفق الضيق الذي حشر فيه ، جلس على أريكته الموضوعة خارج باب الدار يختلس الجلوس مع نفسه ويحاورها لعله يجد متنفساً أو طريقا يذهب به إلى نافذة الفرج , ماذا لو عرف الناس أمرها ؟ لقد أحكم الإقفال عليها بشكل صارم وشدد على زوجته كثيراً , وأوحى إلى أولاده إنها قريبة لهم , جاءت لتعيش معهم بعض الوقت , كما افتعل من الأسباب والمشاحنات والغضب والأسباب مع رفاقه حتى لا يأتوا إليه , ويراها واحداً منهم ويبقى محل سؤال لهم ,كنه يقول لا يدخل دارى واحداً منكم إلا بعد أن أجد متنفساً وحلاً لأمرها وأجد لنفسي مجا,و يجعل الله لنا بحبوحة حتى لا ينال منا الجهلاء....! لدى حميدة حاسة قوية وفطنة بديهية بالرغم من صغر سنها تعرف كيف تقرأ الوجوه وتقرأ ما يدور في جوف العيون تلك موهبة ربانية تستكشف من خلالها ونظرتها للأشياء ما تخبؤها العيون وما يكمن خلف الابتسامة إن كانت مفتعلة فصاحبة الدار يؤرقها وجودها مما تسمع به من زوجها كأنها تقرأ حروفها المؤرقة من خلف لوحٍ زجاجياً ,فقد أرقتها النظرات المرسلة إليها المشبعة بالخوف وكأنها تحكى لها همومها وهواجسها تود لو أنها تلقي إليها أمراً بمغادرة الدار دون أن تكدرها النظرات القاسية التي تقذفها بها من حين لأخر ولا يكون لخروجها أثر يؤثر على حياتها ومستقبلها مع إدريس ,كانت تعرف أن المقام طال بها ،وطال غياب صاحبها وما تسمعه عن قرب عودته ما هو إلا مسكن أو مهدأ تحقن به ليُخَفَفُ به من ألآمها وكم هي من آلام غمرتها اليقظة للمعرفة المدفوعة بالأرق ليكثر عندها السؤال أين هو؟ وأين توفيق ..؟و ما هو مصيرها؟ولماذا طال غيابه عنها؟ وجدت صاحبة الدار نفسها أمام تلك الأسئلة لكن لا تستطيع الإجابة على أي من هذه الأسئلة قد تؤدى الإجابة لفراق أولادها وخراب بيتها، انتظرت حتى عاد إدريس إليهما وتناول طعامه وسرعان ما أتت إليه بكوب

الشاي كما تعود راحت تقدم قدماً وتؤخر الأخرى ، مد إدريس يده وأمسك كوب الشاي وهو ينظر وجهها واعتدل بعد أن كان متكأ على ذراعه ، كأنه ينتصب ليفعل شيئاً أو يقول شيئاً ، تطلعت إليه تبحث عن منفذ تنفذ به إليه لتحادثه أو حتى تهامسه لقد زرع إدريس بين ضلوع زوجته الرهبة دون أن يدري ولقد قرأ إدريس في عيونها وخوارجها ما يقره باطنه مد يده يقربها إليه وكأنه يود أن يطمئنها أو يوحي إليها بسر وهي تحاول أن تستحثه القول بصراحته المعهودة ،فقد قرأت عليه ما تراه بضيفتهما وما تخشاه منها وهي الآن المؤرقة وهي التي تدس مخاوفها بين كلامها خشية أن تغضبه ، أنصت إدريس لما تقوله زوجته وهو يحاول أن يُبقي من الصبر في صدره ويمسك لسانه خشية أن يفلت الزمام من يده ويعلو صوت الزوجة فيسمعهما الجيران ، كان لابد من وقفة تطمئن الزوجة وترضيها ، لكن الأمر كان يحتاج لغير ذلك أو أكثر من ذلك ، فما من سبيل غير الإفصاح . شد زوجته بعيداً عن عيون أطفاله وبعيداً عن عيون حميدة وأذنيها ، وراح يقص عليها ما كان يخبأه في صدره ولماذا طال وجود حميدة في داره كل هذا الوقت؟ولماذا لم يرجع توفيق كما وعد ،وزينب تتظاهر بعدم المعرفة ، أمسك إدريس بكتف زوجته ومال برأسه عليها يهامسها القول كي لا يسمعهما أحداً من الأطفال أو حميدة لقد مات توفيق ولن يأتي لأخذ حميدة ، مات توفيق شهيداً يحارب على الجبهة وقد أحضروا جثمانه ودفن ، ولم أعرف إلا بعد مضي الوقت فكيف بي أن أخون عهداً قطعته على نفسي أمام الله وأمام صديقي وأترك هذه المسكينة للجهلاء يقتلونها ويعذبونها لأنها قالت لهم لا ، هل لو تقدم لك هذا الرجل الذي أعطوها إياه له هل كنت ستوافقين عليه وهل ترضى أي فتاه تكون في مثل جمالها وصغر سنها أن تتزوج بمثل هذا الكهل لا ...لن أتركها يقتلونها ولن أسلمها لهم وسأجد طريقة ومخرجاً لها بأذن الله حتى تبلغ هي المراد والأمن ولا تعود لهذا الرجل أبداً ، أنقبض وجه زوجته أكثر مما

كان منقبضاً ،وتمتمت ببعض الكلمات المدثرة بين شفتيها كأنها تعارض وجودها أو يطول قعودها والخوف قد امتلكها.

سمعت الزوجة من زوجها كلاماً لا يغني ولا يسمن من جوع فقد أحست أنه لا مجال لخروجها من الدار قريباً ، فراحت تحاوره بنظرة المستكينة وهي تطرح عليه وترغبه في التخلص منها ولكن بطريقة الحذر ، فكلما طرحت فكرة وجدت منه جواباً ورداً لا يتفق مع ما طرحت من فكر ورؤية ، فقد أمعن إدريس بحسه في داخله بغيرة زوجته من حميدة وهو يعلم أن جميع محاولاتها ما هي إلا رغبة في التخلص منها ،ولكن بعد حوار طويل شد وجذب بينه وبين زوجته استطاع إدريس أن يقنع زوجته بالصبر والتحمل والرضوخ وإلا انكشف أمرها وأمره للناس وتعرضا للسوء وأشياءً لا يحمد عقباها وقد خرجا بقرار حكيم لا تفريط فيها إلا بمخرج آمن لها مهما طال وجودها ومهما كانت التكلفة ولا إساءة لها حتى يأتي الله بالفرج مع مصارحتها بصاحبها وما كان من أمره ولتظل على وضعها معهم مكرمة معززة في المعاملة مهما طال بقائها حين يصدح المؤذن بأذان الفجر لا تجد في القرية ولا العزب التي تجاورها مخلوق ما زال نائماً ، الجميع ينام مبكراً بعد عناء يوماً كاملاً من شروق الشمس حتى غروبها ، لذلك تجد الجميع قد استيقظ قبل صدح المؤذن لصلاة الفجر ،لكن حميدة طرأت عليها حالة من الأرق الزائد فأصبحت تنام في ذلك الوقت وتصحو بعد شروق الشمس واعتلائها في كبد السماء رأت زينب زوجة إدريس رأياً في وضع حميدة لماذا لا تستخدمها وتُشْغلها ببعض الأعمال في الدار بغية مساعدتها ولتقتل الفراغ عندها والوقت وبذلك بقضي على الفكر والهم بها ،وذلك أمر من الصواب لحميدة وفائدة لزينب كي تخفف عنها بعض الأعباء ، فتنهمك فيما تؤدي من عمل وتسترد عافيتها وتطرد الأفكار منها بدلاً من أن تظل طول الليل تسامر النجوم وتحادثها ،فأوكلت إليها بعض الأعمال وجرتها إليها لتكون طوع يدها بدلاً من جلوسها في الدار معطلة تنظر الداخل

والخارج انخرطت حميدة مع زينب في أعمال المنزل يد بيد حتى أنها أصبح كل شيء في الدار ملك يدها و هي التي تقوم به حتى مع أطفاله الذين تعلقوا بها وكانوا ينادونها بالعمة وأصبحت زينب متفرغة لإدريس ونفضت يدها من أعمال وخدمة الدار ،وأصبحت حميدة هي التي تقدم الطعام له ولأطفاله وتغسل لهم ملابسهم وكل من يريد شيئاً لا يسأل ولا ينادي إلا على حميدة . أمراً طيب هذا ..... لكن كان له أثر عميق في وجدان إدريس الذي بدأ يتحول شيئاً فشيئا في معاملته لزينب ،قد حفرت حميدة مكاناً لها في داخله دون أن تدرك ذلك أو تعد له عدة ،لكن إدريس يخشى زوجته ويخشى عواقب لسانها لذلك حرص على إرضائها أمام حميدة وبعيداً عنها لكن نظراته لا تخفي أمره واهتمامه الذي راح يتزايد بحميدة جعل الشكوك عند زينب تكثر والريبة بداخلها تزيد ،فماذا تنتظر؟

امتد النقار وكثرت النزاعات بين زينب وإدريس وتجرأت زينب على الرد عليه ب (لا) وحينما تتدخل حميدة لتصلح بينهما لا تجد من زينب إلا قسوة اللفظ وإسكاتها ،وبدأ صوت زينب يعلوا ويسمع للجيران نقاشهما وعراكهما دائماً فأصبح إدريس في وضع لا يحسد عليه فكان يهيم في دنياه يقلب أمره ليجد مخرجاً له من هذا المأزق فلا يجد إلا داخله الذي يقول تزوجها ...! يرد على نفسه كيف يكون ذلك وهي على ذمة رجل على قيد الحياة ،وماذا سيقول الناس عنه لو تزوجتها وإن كان زوجها قد مات ؟ فهي مطلوبة عند أهلها يا إدريس : فكيف لك بهذا ؟ ، يعد ويحصر المطلوب كي يتثنى له الاحتفاظ بحميدة، يجب ن يموت زوجها ويتم التأكد من موته ، أن تتزوج بعيداً عن الصعيد في بلد كبيرة كي يصعب التعرف عليها أما أنا فلا .....!، كل الظروف ضدك يا إدريس وتريد فعل ذلك لأجل العهد الذي أخذته عل نفسك لصاحبك فالظروف لا تخدمك لتفعل ما تسوله لك نفسك

الفصل السابع
رحى الغيرة

امتدت خيوط التوتر ووجدت طريقا داخل دار إدريس ، كأن الهدوء والسكينة قُتلا وماتا وقبرا بغير رجعة وقد حلت محلهما الغيرة بتوابعها لقد عششت الغيرة في لب زينب وصدرها واستمدت وقودها من نظرات إدريس لحميدة التي يختلسها إعجاباً بتلك الفتاه وجعل منها الوقود أو الحطب تمد النار منها لتوقد ؛إن جمال الفتاة وطول فترة الانتظار خلقت أرضية خصبة وسماء مهيأة لأي شيء لم يكن في الحسبان أو غير متوقع ذلك ما جعل زينب ترتاب أكثر وتحس بالخوف على بيتها وأولادها ، ويرى إدريس الغيرة تأكل الزوجة ويضمر في نفسه الصمت ، حتى حينما تصرخ في وجه الفتاه وهي تتعلل بأنها تريد تعليمها بسبب أو غير سبب وهذا يقابل من قبل إدريس بالصمت أو التبسم وحتى لا يعلم الجيران .....هكذا كان الفعل ورد الفعل وماذا تفعل تلك الفته المغلوبة على أمرها ؟ أما م ما تلاقيه من زينب فكثيراً ما تختلق للمسكينة أعمالا تكسر الظهر قد يصعب على بعض الرجال القيام بها ، فإذا حضر إدريس هذبت الحديث معها وتظاهرت بالعطف عليها وهي لا تتوانى عن صرف حميدة عن عيون إدريس بتكليفها بعض الأمور التي تبعدها وتستنزف الوقت منها حتى يخضع جسم إدريس للنوم فينام ولا يراها ، لقد عقدت زينب النية على أن لا يصل إدريس بتك الفتاه ولو جثتها فاستخدمتها استخدام الرحى في دش الحبوب أو كالطاحونة التي لا تتوقف خرج إدريس للصلاة كعادته وبعد صلاة العشاء وجد في نفسه الرغبة أن يظل خارج الدار بعيداً عن هذا الجو المعكر والسماء الملبدة بالغيوم ، لكنه لا يعرف إلى أي طريق يسلك وليس في مكنونه هدف يذهب إليه ، فقد سار على غير هدى من نفسه ، وكأنه ود أن يقرا تفاصيل كتابه وهو يحمل معه همومه فوق ظهره وينقل أقدامه بثقل خطوة بعدها خطوه كأنه يعد الخطى ؛ ودون أن يدرك ويدري وصل إلى مشارف البلدة حيث

الطريق والمنفذ الرئيسي لها ، الطريق زراعياً غير ممهد يمر فيه الفلاحون العائدون من حقولهم بدوابهم أو الذاهبون إليها الطريق مترب كما هو الحال في أغلب الطرق التي تأخذك ناحية الخلاء الممتد حتى القرى المجاورة كان السكون قد خيم وأحاط بالمكان والزر وع ساكنة حتى نسمة الهواء قد سكنت مكاناً أخر والظلام خيم على الطريق فلا يرى المار غيره ولا يحس به إلا إذا اقترب منه لخلو الطريق من المصابيح الكهربائية ، راح إدريس يتهادى في الطريق وحده يدسه الليل أو يدس نفسه تحت أجنحته ، وهو يقلب في أحواله ويفاضل بين أمر وأمر عسى أن يجد حلاً..! اقترب إدريس دون أن يدري حيث القرية المجاورة وأصبحت أصوات سكانها في الأطراف تكاد تسمع للمار في الطريق .... أدار ظهره ليعود من رحلته الخلوية وتكاد تنتهي بلا فائدة مرجوة فإذا بمكبر الصوت بمسجد قريب ينعي ميتاً قد توفى توقف عن السير وتسمرت أقدامه بالأرض وراح يكتم أنفاسه ليسمع صوت الناعي واسم المتوفى... إن لله وإنا إليه راجعون ، توفى إلى رحمة الله تعالى المرحوم عل..... وان ولد مخيمر ، لم يستوضح إدريس اسم المتوفى كتم أنفاسه بيده وأمسك أنفه وعاد الناعي ينعي المرحوم المتوفى وإدريس لم يصدق ما سمعته أذناه وكاد يطير من الفرح وهو يقول إنا لله وإنا إليه راجعون الحمد لله ، الحمد الله فرجك يا كريم ،ولولا خشيته أن يراه أحد المارة لرقص فرحاً أو لرقص من شدة فرحته عاد إدريس وهو يهلل وجه بالغبطة منبسط السريرة تبدو عليه علامات السرور التي غابت عن وجهه منذ فترة فمنذ أن وصل حميدة إلى داره وهو في كبت وشدة ، طرق الباب بغير عادته وهو يكاد يقفز إلى داخل الدار قبل أن يفتح له فإذا بالفتاة هي التي تفتح له الباب ؛ودون أن يدرك وجد نفسه قد احتواها بين ذراعيه وضمها إلى صدره وهو يقبل في جبينها تارة وفي خديها تارة أخرى دون أن يقول شيئاً ، ما هدأ راح يبث إليها الخبر ولا يعرف كيف يهنئها ؟ لقد كان يدور بها وهي في حضنه ويدور بها حول نفسه ويقول لقد جاء الفرج وانفتحت

الطريق أبشري يا حميدة ....أبشري يا حميدة ....وزينب واقفة تنظر وتنتظر لتعرف ولم تنفض لحظة الدهشة وظلت الحيرة في الرؤوس والعيون معلقة ولحظة من الصمت سادت الدار قبل أن يتكلم إدريس ويقول ويعلن عن سبب فرحته العامرة وما فعله بحميدة أمام زوجته التي تكاد تُجَن من فرط ما قام به أمام عينها .... أمام حميدة فأخذها آخذ أكثر شدة مما أخذ زينب وقد لفتها الحيرة ولا تعرف من الأمر شيئاً ، ودت لو تكلم بسرعة وعجلة فهي المرة الأولى التي وضعت فيها بين ذراعي إدريس وأمام مرأى من زوجته وأطفاله كادت حميدة تجن هي الأخرى لولا أن أمسكها بيده وجرها بعيداً عن الأطفال ويمسك باليد الأخرى زينب ليزف إليهما الخبر واتسعت الرغبة في داخله ...!

❋ ❋ ❋

الفصل الثامن
نافذة الفرج!..

بدأ العد التنازلي في عداد الخوف والرهبة وتكاد رحلة الفزع تنتهي بعد أن فتحت نافذة الفرج ، كأنه ألقى من على كتفه حملاً ثقيلاً كاد يكسر يظهره ويحطم حياته ، فهذه الأمر في صعيد مصر لا يؤخذ مأخذا هيناً لا عند الضعيف ولا عند القوى إنها مسألة حياة أو موت فكثير من مات بعلة العرض والشرف ، أو كلمة ألقيت من رجل أو امرأة أثارة غضب الطرف الأخر فتنشب المعركة ويقتتل الناس ويموت من يموت ويراق الدم ويظل عقوداً يجري ولا أحداً يستطيع إيقافه ، وقد ينزع الضعيف ويرحل من داره إن لم يستطع الصمود والقتل إلى حين تتهيأ له الفرصة له أو لأولاده أو حتى أحفاده هكذا دأب العرف عند أهل الصعيد ويظل معلق تتناقله الأجيال ولا يمحى من ذاكرة القوم إلا بمعجزة إلاهية، سبح إدريس في بحر أخر تقل نسبة الملوحة عن سابقة بمقدار كبير وبدأ يتنفس ويخرج أنفاسه بارتياح بعد أن أكد الخبر وذهب معزيا ومواسياً وجلس في العزاء وصافح أقارب

المتوفى ، لقد تحطم السد المانع والمعوق وقد أصبحت حميدة حرة ليس حرية كاملة ولكن بأمل أن يتم تحريرها من كل القيود التي سجنتها وجعلتها قيد الشتات أمام ما أحدث من انفراجة اجتمع إدريس مع زينب خلسة بعيداً عن حميدة وعن عيون أطفاله ، وراحا يقلبا الأمر من جميع جوانبه حتى وإن كانت تخلصت بقدرة القادر من الزوج التعيس ومعجزة إلاهية فإن الأمر مازال معقد بسبب أهل الفتاه وأبوها وإخوتها ، لقد آل لسمع إدريس من يتوعد لها فهي كانت سبباً في موت المرحوم ولا يعترض في ذلك الريس فهيم ولا عائلته وإنما يوافقون على كل ما يقال فالبقرة غائبة والسكاكين جاهزة وستأتي يوماً ما لتذبح على نصب الآلهة إرضاء للجهل والعقول الغائبة.

يغوص إدريس في بحر الفكر بأدواته المتواضعة يبحث عن صيد ثمين يرجع به يفرح حميدة ويشرح صدر زوجته المكتئبة ويعود خاوياً الوفاض بلا صيد في سلته حتى كاد يعود إليه الأرق من جديد. قال إدريس وقد برقت عيناه وحدقت بعيداً كأنه يحادث غائباً أو بعيداً عنه، لقد وجدتها.... وجدتها..! وجدتها انتفضت زينب من جلستها واشتدت واحمر وجهها ببريق أصفى على ملامحها النضرة وهي تقول ما هي ؟ ، تكلم : شوقتني يا رجل قل : ولا تكتم ....، وجدت الخيط الذي يخرج المسكينة ويخرجنا من هذا السجن ، قل : يا إدريس سأزوجها بعيداً عن الصعيد سأزوجها لرجل يعوضها عن الشقاء والتعب ويحفظ لها كرامتها دون أن يحس بها أحد ، ستعيش حميدة في المدن وستبقى من أهلها لم يهدأ إدريس لحظة واحدة ولم يضيع من وقته ثانية بل مثابراً مجتهداً حريصاً بدقة تخلب العقول إذا تفانى وأراد أن يصل إلى مرغبه لقد قضى فترة في القاهرة يتنقل فيها بين أحياؤها يعمل تارة مع عمال البناء من الصعيد وتارة وتارة أخرى في غير البناء علاوة على فترة التجنيد بالقوات المسلحة التي أثمرة مع إدريس بعض الصحبة من سكان القاهرة والمحافظات التي تجاورها ، وقد العزم على يزور صلاح فقد ودوداً وأمينا معه وقد

زاره صلاح في بيته وبينهما علاقة حميمة تكاد تسمو على علاقة الأخ بأخيه ، لقد قارن إدريس بين صلاح وغيره من الأصحاب والمعارف فلم يجد أحداً يلح لهذه المهمة إلا هو نظراً لمروءته وإخلاصه وشجاعته ، لكن كيف الوصول إليه لابد من الوصول إلى صلاح وزيارته في أقرب فرصة فقد عقد عليه الأمل لإنهاء هذه المشكلة ، لقد وقف المؤشر على وجه صلاح ويجب أن يحادث ويخبر بزيارته وكم سيسعده ذلك عثر إدريس على رقم هاتف صلاح في أجندته وراح يعدو في الطريق حيث ركب سيارة تنقله إلى المدينة تاركاً قريته كأنه على عجل من أمره، سيهاتف حبيبه وصديق عمره وسيخبره بالأمر لو استطاع قبل الذهاب إليه ، لقد كانت الطريق قصيرة فلم يطرح الخيال عليه شيء من لهفته وشوقه في أن يجد صلاح ويحادثه... لم يدرك إدريس أنه وصل النهاية والسائق يصيح النهاية يا سادة وانطلق حيث سنترال المدينة قائم يلوك الأرض تحت قدميه كأنه يسابق الريح في جريانها.... كان السنترال هادئاً ويكاد يخلو من المتصلين إلا نفر قليل لا يتعدى عددهم أصابع اليد الواحدة ،غمس يده في جيبه وراح يخرج ورقة بها رقم الهاتف المطلوب ودفع بها إلى الموظف وهو يقول من فضلك السرعة وينظر إليه موظف السنترال من أسفل نظارته بهدوء فكم اعتاد على مثل تلك الأمور من المتصلين أصحاب الأمور المستعجلة ،لم يطول الوقت في الانتظار وسرعان ما نادى الموظف على إدريس ..... كابينة رقم ٣ القاهرة ويدلف إدريس إلى داخل الكابينة ويضع ظهره لبابها ويختلس نظرة خاطفة من خلف زجاج باب الكابينة خشية أن يسمعه أحداً من الناس أو يراه بعض من يعرفه

الفصل التاسع

رواد حميدة السرور والغبطة واتسعت أساريرها يكاد يعتدل معها الحظ وتصل إلى شاطئ الأمان فأطلت برأسها بشوق وهي تفتح باب الدار بخشية وتخشى أن يراها المارون أو يفطن إلى ملامحها بعض الجيران لقد كان حميدة في شوق أن ترى الدنيا التي غابت عنها من لحظة أن وقعت أقدامها في شباك الرجل الهرم (لمتعوس) لقد اشتاقت للخضرة والحقول اشتاقت لإخوتها وللجيران بالرغم من الضيق الذي كان يلفها ويحيط بها ، راحت تختلس نظرة خاطفة في غياب إدريس وتلاهي زوجته زينب عنها وأعطت وجهها للسماء والشمس التي غشت عيونها وكأنها تتلذذ باستمتاع ونشوة لما فقدته في رحلتها ومخبؤها في بيت إدريس.... لم تعرف حميدة القادم إليها سيعرفها ويتعرف عليها وينظرها من بعيد ، يحسبه البعض بأنه عديم الإدراك وأنه ذاهب العقل لا يدرك ولا يع تلك مفاهيم الناس في القادم على حين غرة وألقى به القدر..... ، جابر بن عزيزة المهبل ...! دائما ما ينام في العراء رث الملابس تكاد عورته تظهر من ملابسه يعطف الناس عليه بالطعام والشراب أو جلباب قديم فهو متسخ الجسد على الدوام ولا يوجد أحداً في الناحية لا يعرف جابر والدنيا مفتوحة أمامه ولا أحد يتعرض له بل الجميع يعطف عليه إيماناً منهم وعند البعض أنه من أولياء الله الصالحين ، هكذا الناس تعرف جابر بن عزيزة أو جابر المهبل ،،،ما أن وقعت عيناه على حميدة وهي تقف أمام الباب حتى جاء مسرعاً إليها ويتهلل وهو يشير إليها وكأنه يخبرها عما سمعه عنها وعما يقوله القوم عنها وهي تحاول أن تهدأ من روعه وتهامسه وتشير إليه بالصمت كي تأتي إليه بطعام يأكله وهو لا يكف عما يحاول قوله لها كأنه يود أن يأخذها معه إلى أبيها وإخوتها وتدرك حليمة خطورة رؤية جابر لها وتعرفه عليها ولكن ما باليد حيلة لقد وقعت في المحظور وتود أن تفلت منه دون جدوى وهي تنظر حولها وتكاد تموت في جلبابها وقد أحست زينب عدم وجود حركتها وغياب نفاسها ويأتي

لسمعها همهمة الباب والهمس فراحت تستطلع الأمر فوجئت حميدة بسيدة الدار تقف خلفها دون حس أو حركة منها وهي تري الحوار بينها وبين هذا المُهَبَل وراحت تجرها للداخل بصمت وتشير للمهبل بالانصراف ومغادرة الباب بإلحاح وهو لا يود أن يتزحزح عن مكانه كأنه سُمِر بمسامير في قدميه ، وتغلق زينب الباب عنوة في وجه جابر بن عزيزة وهي غارقة فيما رأت ولا تع وتود تفسيراً من حميدة يمحو مخاوفها ، فقد انتابها الشك أن هذا المُهَبَل يعرف جيداً حميدة وسيخبر عنها حتما ، فيا للحظ انكفأتا زينب وحميدة وانكبا وغرقا في الهم الذي جاء على غير موعد دون أن يدريا أو يعملا له حساب وانطوتا في ثيابهن غارقتين كلً منهما يصرخ جوفها خوفاً ورعباً ....١عاد إدريس تعلو وجهه البسمة وقد قرر في قراره وتغلب على ما كان يراوده وسفه شيطانه ودحره فلا رجعة فيما اتخذه من قرار وسف يسافر بحميدة ويلحقها بصاحبه فقد وجد لها مناخاً مهيئاً ستنجو فيهإن تم ما دار بين إدريس وصاحبه صلاح.... لاحظ إدريس ما يعلو وجه زينب ووجه حميدة فانقبض قلبه وأوشك أن يموت من فرط وشدة الخوف وخشي أن تقتل مسعاه قبل أن تولد ويموت أمله ومسعاه. مال إلى حميدة فانكفأت وانكبت وغررت عيونها بالدموع وراحت تهطل بغزارة كالجمر على خدودها تحرقها ، وأدار رأسه ناحية زوجته فرآها قد سبقتها في البكاء وهو لا يدري ما حدث !... كان الليل قد أتى وبعثر النجم يحوي السماء ويزينها وبدأت الأنفاس تهدأ والأصوات تخمد إلا من قوقعة الضفادع في المجرى المائي القريب التي تخدش السكون والصمت تخرج حميدة من مكمنها إلى إدريس على خجل وتمسك برأسه تقبله وهي تنتحب وتتحسر وتشهق كالطير الذبيح ولا تستطيع أن تخرج مفردات الحروف من شفتيها وزينب تحاول تهدئها وتربت عليها وتدعوها لخفض صوتها وكفها عن البكاء ولا تستطيع لما أرادت سبيلا... عتدل إدريس من جلسته وأخذ حميدة بين زراعية وراح يهنهن ها كالطفل الرضيع وزينب تمسك بها وترفق بها وإدريس جاحظ العينان شارك الفكر

بالرغم من وجوده بينهما اكتملت الحروف عند مخرجها من بين شفتي حميدة وقالت : يا أبو خالد وهو نداء تعودت عليه تناديه به من لحظة أن وطئت دياره وسمعت زينب تناديه به والجيران ، لا عرف كيف أرد لك الجميل ولا في مقدوري أن أصنع لك أنت وأم خالد شيئاً ، وقد أدخلت عليكم الحزن وجعلت بيتكم ليلاً من لحظة دخولي هنا وقد تحملت الكثير في سبيل إنقاذي واليوم لي رجاء منك أن تتركني وسبيلي أن ألقي حظي كانت الكلمات قد نزلت على إدريس كالصاعقة لم يتخيل إدريس أن تطلب حميدة مثل هذا الطلبوهو يعلم كم ضاقت تلك الفتاه بأمرها وكم عاندها الحظ حتى بعد أن مات زوجها (المنعوس) ضمها إدريس بحنان ووداعة ورأفة وقال لا تخشي شيئاً غداً إن شاء الله ستكونين في أمان بفضل الله وعونه اذهبي كي تنامي وعلى زينب أن تعد لنا ملازم السفر ظهر إدريس بطريقة توحي بوجوده وهو يخرج ثم يعود طوال النهار ويجلس على المقاهي ويتسم وهو يود يبعد الشكوك والفضول عند ناظريه خوفاً أن يبوح داخله على وجهه بشيء وانحدر قرص الشمس للمغيب وبدأ الفلاحون يعودون إلى منازلهم وبدأت تخف رِجْلُ القادم والذاهب في الطريق.... وقد حان وقت الخروج وقد هيأتها زينب وأعطتها من ملابسها ما يكفي حاجتها في سفرها وحميدة ترفض رفضا قاطعاً إن لا تأخذ من ملابسها شيئاً فما على جلدها يكفي ،كانت لحظة الوداع فارقة غريبة في تفاصيلها بين امرأتين خشيت إحداهما يوماً من وجود الأخرى في بيتها خشية على بيتها وأولادها ، اللحظة لم تكن كذلك كانت غاية في المودة والرحمة حتى الأطفال بكوها وأصبحت العيون تهدر دموعها بلا توقف وإدريس يستجمع قواه ويربت على زينب وأطفاله ويشد حميدة عن صدر زينب تارة ويخلع يد طفله من ثوب حميدة حتى كاد يأخذهم المشهد والحنان لينسوا ما هم إليه قادمون ... قبل إدريس ولديه وبنته قبلة وداع ثم عاد وقبل زينب وأمسك حميدة وخرج من الباب إلى حيث يُودِعَ حميدة في مأمنها المنتظر سارت حميدة خلفه وقد أصفدت زينب الباب خلفه حتى لا

تثير انتباه الجيران.... هناك على مقربة غير بعيدة في مفرق الطرق وحميدة بجانبه وقد تعلقت بأكمام ثوبه كأنه أبوها أو أخوها أو كزوج وقد وصلا على مشارف قريبة تؤدي بهم إلى محطة السكة الحديد يسمع إدريس همهمة وهمس فيقرن أذنيه وتحدق عيناه في الظلام الدامس فلا يرى شيئاً ، يتوقف وهو يمسك بيد حميدة ويجعلها خلفه وإذا بغثاء كغثاء النمل يخرج من جحور الأرض أو كالسيل العرم يغمر الطريق ويسدها عليهما وتلتصق حميدة بظهر إدريس ويعلو صوتها ويخرج رجل صاحب لحية كثة وشعر رأس مبعثر وملابس مهللة وهو يشير وينعر، وتعلو الأصوات وترتفع كما علت، الهراوات ويحاط إدريس من كل ناحية وتكثر كشافات الإضاءة المحمولة مع البعض وتكشف الوجوه التي يسترها الليل وتنير الطريق وتكتظ ويعلو صوت القادم ها هي أقتلوها وامحوا عاركم ، وتخرج رصاصة في الظلام تخدش صمتاً كاد يسود لولا أن القدر أوقعها في طريق جابر بن عزيزة ليدلي عليها ويراقبا ويأتي بالقوم وتستقر الرصاصة في صدر حميدة بين يدي إدريس غارقة في دماءها ليس إلا وقوعها بين يدي قبضة الفقر وجل البشر ويظل الجهل سيد الناس

عودة

حملت حقائبي على كتفي . ووضعت قدمي فوق الثرى ، فوق جسر العبور تأخذني الرغبة فأسرع الخطى ، تقتل وجهي البشاشة فوق سفينة الرغبة ويلوح لي العهد وما حملت في الحشى من علقة لم تنضج ، أخبرتني حينها هيام.

وأصرت على الانفصال ، والآن تعود إلى العش رغبة

وقفت أسمع صوت التأوه في الطلق وعلى حافة الجسر قرأت الأعذار.

❁❁❁

ركلة سديدة

خفق قلبه حين علم بقدومها ، واشتاق لرؤيتها انتابه الظن فجنحت رغبة

التقبيل ، سلك الطريق الغير معهود ، وقد أشرقت كما تشرق الشمس ، تطلق شعاعها الآسر بالدفء أحس بالجمر يلهب جلده ويحرق جسده .

اندفع كالثور يطوقها ، ويلامس جسده الملتهب جسدها، بسطت كفيها لتبعده عنها ويحاول أن يرشف قبلة ، عرفت أن الثور لن يهدأ ...وأن الريح عاصفة.

قالت :وهي تزجره لا أبتغ ثوراً وإنما أبتغي رجلاً.

فأغرقت رجولته تحت وطأة السكر والهيام وركلة سديدة هوى على وجهه ليعفره التراب

❁❁❁

الرسالة

الرغبة جامحة والقطار على وشك الوصول جدية لتحديد معالم رحلتها ، بينها وبين الحلم لحظة، والانتظار قاتل ..!

صوت أقدام ساعي البريد ترن في أذنيها والنافذة لم تغلق ، انتفضت لتحرر بعض الخطى من القيد ، وتزيح بعضا من المسافة والوقت والمفترق في الناصية فيها سيكون نقطة التلاقي كانت تعلم بقدومه نحوها ، ناولها الرسالة لتفضها وهو ينتظر أن تناوله البقشيش .

مزقت أصفاد الرسالة وشرعت في قراءتها ،وكوب من الشاي مازال ينتظر قبضتها ،أخذت رشفة بعد رشفة كأنها تستقي من الكوب الفهم الكوب فرغ من محتواه وانقلب الحلو مراً في حلقها فقد تذوقت العلقم ، لتذرف عيناها بالدمع (أتركي طفلي وإلا حرمتك منه للأبد .

مرعبة

عقدت العزم و اتخذت خطوة ، كل شيء كان معداً، من يسكت مزمار منخاره ؟

بحثت في صندوق تواركه ، للعفريت مسحوق ينثر ، أغلقت خلفه الباب وتجرعت السكون

❋❋❋

لقاء

أمسكت يدي وأسبلت جفنيها وأطلقت بسمة ملأت بها شفتيها ، قالت : ما أطيب العود..! نظرت إليها وسافرت..!

هناك وقع بصري! راعها الغروب ، ودت أن أعود جذبتني في دعابة ليس الآن!

رحت أرنوا قبضة يدها التي شعرت بزهرة تتفتح إذا أدركها الندى في الصباح وغمرها شعاع الشمس ، هتفت وأنا في يدها وأرسلت ضحكة وضربت قدمي على الأرض ، ظنت أني ألاوعها قالت : ما الأمر ؟

استدركت:بهجتي وشددتها نحوي، قلت : أحتاج لضمان فتحت عينيها واختلجت قسمات الوجه ماذا قلت؟ ضمان.

قالت : كما تريد ... انتظريني حتى أعود .....!

رحلة ورحيل

جَلسَ بَعدَ عَنّاءٍ ، شَبِيه ٌبِطيرٍ غارقٍ ،وعَودة ٍمِنْ رَحيلٍ.

مَدّ يَدَهُ يُفرغُ حَقَائِبَهُ ، غَشتْ عَينّاهُ ، وطأطأ رَأسَهُ بينَ رُكبَتيهِ.

فلا شيءٌ تَحتَويه الجيوب ...!

❋❋❋

ختام

شدني صوت الرصاص المنطلق ، حين كنت على مقربة بقاربي ، هناك دوامة لا ترحم ،وافيت المقام على ركض دقات قلبي ، انثنى الخاطر وأبصرت بحدقتي ، غرغرة العين وهي تجحظ في السماء ، وشفتان تتحركان ، وصوت يخرج وأنفاس تتلجلج، وشهقة كان على أثرها الختام.

❋❋❋

النهاية

احتفظ به في قفصه ستون عاماً لم تره الشمس ، أدرك أن الطريق قد انتهى . فكتب على الجدران محطة وصوله ....!

لماذا أفقد مقعدي

جاءتني اليوم هي لا تأتي لماذا أفقد مقعدي؟ البارحة شربت من ظلها قدحاً ،واليوم وجدتها قد ألقت بظهرها لجدار بستان.

قالت: – وقد استبدلت ملامحها وعلقت صورة لم أعهدها – صرت لا أراك في ذاكرتي ..! أخشى أن تكون فقدت مقعدك .!

كنت أظنه

❁❁❁

سألتني أمي ...؟ كيف تعرفت على تلك الفتاة...؟

أدركنني الحيرة ...! وتلعثم اللسان ...، نسيت أن محمداً لم يفارقني ....وظني أنه لم يدرك

قلت: في محطة القطار يا أماه ، نظر إليَّ وهزني من ثوبي وقال : لا يا أبي ...! ، عند مدام سعدية.

❁❁❁

غريق الدجى

تبكي من غل الدجى ، تكفكف وقارها بالدمع حين يمثل الماضي وتسمع صراخ الغريق ....تنوح..!

طهارة

خلع ثوب الدناءة يغتسل ، حتى الماء فعرف الفرق بين الصفاء والكدر

❁❁❁

مخادع

ظن أن صغار الكلاب لا تعض ، وأن العض من شيمة الكبار ، جرو على حين غرة يلتهم مؤخرته ولم يبد نباحاً ...!

❁❁❁

هروب

امتد الصراع وتخلل كل أذقتها ،فأضحت بين جدران وغطرسة سجان وسوط ، قامت بزيارة عجلة لوجهه، راحت تبحث عن مخرج ، أدركها باب خلفي، فأمسكت إحدى قوائمه وأدلفت للبراح تعدو.....!

قالت ..!

قالت : ما اسمك ؟، قلت : ألا تذكرين ؟

قالت : ومتى كان ؟

رسمت علي وجهها علامة ....!، وخرجت بسمة كانت شاردة ،لم تصل ..! ،

وأدبرت ولم تسمع اسمي

❁❁❁

سألتني

سألتني :وهي تنظر إلى وجهي ، ما ورائك ؟

قلت : لا شيء.....!

قالت : كذبت ...

قلت : ولما الكذب

قالت : أخبرني عنك المراقب ....!

قلت : أجعلتي من يراقبني ؟

قلت : نعم .

قلت : من هو ؟

أخذتني حيث تسكن المرآة على صدر الحائط قالت : هذه تعرفك ...!، أنظر .....! ، فنظرت إلى وجهي وقالت : ويا أسفى علي يوسف وتغرغرت عيناها بالدمع..

سفر

هوى بمؤخرته يبسطها على الأرض ، قد اشتاق الجدار إلى ظهره ، السماء تخطف عينيه ،زفير صدره يصعد ملتهباً ، يمد يده ويفتل شاربه الهرم ، يقبض فيه المدى ويبسط ، وتسقط العصا من يده ويأخذه الشارد هناك .... وقد يعود ..!

❋❋❋

الزائفة

عجزت أن أرسم لوجهها صورة ، الخطوط لا تستقيم ولا تلتئم ولا الريشة تستجيب ، أيقنت أن أدواتي تعلن العصيان ، والوجه غابت ملامحه في زهاء همسة وشرود .

انتفضت الريشة ترسم وجهاً لم يك لي بمألوف ولا يغدر بالوعود .....!

❋❋❋

هي وأنا وأبي

تمر كل يوم لا أعيرها انتباهاً ، كثيراً ما تعبر من هذا الطريق ، جوارحي في غفلة تبتسم وتطيل النظرة أوقفتني بدلال ، ملامحها تفصح عن رغبة، أحسست أن رأسي اصطدم بحائط حجري، تقترب مني وتدنو وانحدر

خشية الاصطدام أو خشية السقوط في قعر جب وددت أن تمر ، ويدها الناعمة تقبض على قُبِلَ قميصي وأبي يقف عائقاً ليقتل الرغبة ....!

❁❁❁

سجين

قالت : ستموت مسنداً رأسك على كتفي

ضحكت سخرية ....! قلت : وماذا بعد ؟

قالت : سيكون قبرك ...غرفتي ...،

قلت : أو بها براح لجسدي ؟

ضحكت بسخرية الواثق ....وقالت : يا لك من طامع سأجعلك بين فكي غرامي ،وأحصي لك أنفاسك فقد أعددت لها منظم ورقم لا تتجاوز حدوده ، تلك صناعتي.

قلت :كم سأبقى في قبرك المعنون وزنزانتك ؟

قالت :حين يطيب جُرحي ويعود زاجلي ،سأهتف حينها وأعلن عنك

سِر

هوى بمؤخرته يفترش الأرض ،عصا يتوكأ عليه وجدار يحن إليه ،تتلقي السماء رسائل عينيه ويد تتسلى وتفرك شاربه المدلي ،أنفاس تحتشد ، ويد تقبض وتبسط على كتفه. قم ..!

❁❁❁

رحلة في الفضاء

عوده المنهك ألقاه علي أريك خشبي ، يود أن يقشع من علي جسده تراب الهموم ويلملم أوصاله ،مازال علي معصميه قيد لم يبرح ، أطلق حدقتيه وانطلق خلفهما يركض ، جفنيه يركعان سجودا حين ثقلت خطاه وغاب.

❁❁❁

الحاج يوسف

وقف الحاج يوسف وهو يقلب عينيه و يلقي نظرة مشغوفة بالأمل.

تلك الدار نشأت على مضض ولم ينته من بنائها بعد.

زفرت عيناه دمعة تعلقت بأهداب عينيه ،كأنها تخشى السقوط.

بسط طرف الشال يخمد الرقراق والغرغرة بعينيه شرد قليلاً ...! أيقظه لهيب السيجارة العالقة بين أصابعه ،ألقمها فمه ليجرع أخر جرعة من النكوتين المتبقي راح ينفث دخان سيجارته بهدوء ، ويخرجه من فيه كأنه يخرج من ثقب كوب ضيق أو ثقب إبرة للمخيط .

تنهيدة حارة...!، وفضفضة برغاء , ورجاء بالتمني والأمل الطواف ، خمسة بنات ولم يأت من يحمل اسمك .يا... يوسف...!

❋❋❋

محمد وأكتوبر

دائماً ما يضع رأسه بين منكبيه، يجلس غارقاً من الخوف بالرغم من حداثة سنه ينفرد بنفسه ويتحسس الطريق أمامه الذي يريده خالياً يكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله وحسبي الله ونعم الوكيل).

بطبعه متدين هادئ لا يميل إلى الهرج أو المزاح مثل باقي الصبية مختلفاً تماماً ، يؤدي الصلاة مواظب عليها وهو صغير ويحفظ الكثير من سور القرآن الكريم نشأ محمد في أسرة فقيرة تكاد تكون معدومة ، عائلها فلاح

أجير يكسب قوت يومه بالعمل في حقول الغير من المعارف والأقارب.

لقد قيد الفقر خطواته وجعله لا يتطلع أكثر مما هو فيه ، قمة السعادة الحصول على وجبة دسمة يكون فيها اللحم والدسم قد تمضي فترات زمنية وطعامه اليومي صعب المنال، كذلك ملابسه التي يذهب بها للمدرسة بين زملائه لا تعيش معه شهور الدراسة سرعان ما تحيلها الأيام إلى القِدم والهلاك فترى النوافذ في بنطاله ليس لديه شئ اسمه الحلم والحلم بعيد ولا ينظر أو يتطلع أعلى من قامته خوفاً من السقوط على وجهه ؛وكما يقولون (مد رجليك على قد لحافك)

فكان محمد نعم الفتي في ذلك لا يطلب شئ من أبيه كي يُقلي عن كاهله ؛ بعضاً من الحمل وإنما كان يعمل مع أبيه حتى يستطيعا توفير الحد الأدنى للعيش بين الناس ؛ و شاءت الظروف أن يدخل محمد المدرسة وينتقل إلى المرحلة الإعدادية ؛كان مستواه جيداً بين زملاءه ولم يك من التلاميذ الفاشلين.

فهو بطبعه مجد غير عابس ،كل الأمور لديه جدية ؛ لكن القدر أوقعه في مصيدة الوحوش للدروس الخصوصية ،وأشد هؤلاء الوحوش مدرس اللغة العربية

الذي لا يدخر جهدا للتنكيل والترهيب في الطلبة الذين أوقعهم القدر في حوزته من أجل دفعهم لأخذ درسٍ خصوصي لديه

المهم لا يفلت طالب من الذين يقعون تحت يديه في أحد المجموعات التي رتبها هذا المدرس لهم ؛وإلا فلا ...!ومن يتقاعس منهم !! يضرب الطالب علقة لأي سبب من الأسباب أو بدون سبب وينال قسطاً من السباب والشتم ، زيادة على السخرية منه أمام زملاءه والتهديد بالفصل والضرب والطرد من الحصة ، وعمل إنذارٍ له وتهديده بالفصل إن لم يحضر بعد ذلك ولي أمره

ثم يبدأ التهديد وأخيراً الإنتقام الكبير ورسوبه في هذه المادة طالما لا يدفع ولا يشترك في الدروس الخصوصية متعللاً بضعف القدرة الاستيعابية للطالب وضعف مستواه فيلاحقه أينما كان ، ولا مفر ..!

فكان محمد صابراً محتملاً كل ما يجري ويحدث له ولا يستطيع الإقرار لأبيه أو يبيح له ولكن لكل إنسان طاقة وقدرة على التحمل والحمل إذ سرعان ما خارت قواه وبدأت كراهيته للمدرسة تزيد وتتسع في صدره الضيق ، فراح يغيب عن المدرسة؛ أو يذهب إلى

المدرسة وعند الباب يرتد للخلف ليبحث عن مكان بعيد عن المدرسة والمدرسين ليقضي فيه وقت الدراسة ثم يعود مع الطلبة كأنه ذهب إلى مدرسته وعاد معهم ؛أما في المساء يجلس إيهاما لأبيه يذاكر دروسه أو إرضاءً لأبيه أو خوفاً منه وتكون النتيجة الرسوب المتكرر وتعوقه عن زملاءه

والأب غارقا في توفير المستلزمات الضرورية للبيت المكتظ المعدوم من الحياة والعيش ولا يعلم السبب عن تخلف محمد عن زملاءه والأب يفضل أن يعمل محمد أجيراً في الحقول بدلاً من الذهاب للمدرسة، فالحياة شديدة تجعله لا ينظر للمدرسة أو التعليم نظرة إيجابية تؤهله للاهتمام بمحمد ويأتي أكتوبر وتفتح المدارس أبوابها من جديد ومحمد لا يعود ..!

❋❋❋

أكتوبر ومحمد٢

لا يستطيع محمد أن يخفي تخلفه في الدراسة والتحصيل عن أبيه إلى الأبد، فما أن علم أبيه برسوبه وتخلفه إلا وكان من نصيب محمد، على علقة ساخنة كادت تفقده عقله وما تلاها من موجات من الصفع على أشداقه من أبيه ، ثم تم الإقصاء له والطرد من المنزل.

لم يجد محمد مأوى أو ملجأ يأوي إليه ، تلتها موجة من الضرب المبرح والطرد من المنزل حتى صار طريدا منبوذاً لا يجد مكاناً يأوي إليه ؛فدائماً ما يرفع يديه إلى السماء ويتطلع في النجوم عسى أن يجد باباً للفرج، وهو يردد حسبي الله ونعم الوكيل .....لا يفل عنها ولا تغادر فمه ,وقد أصبح حديث الناس واتهموه بفقدان العقل وذهابه.

وانطوى محمد على ذاته وانقطع عن الناس في أماكن يضن بها المرور في أطراف القرية حتى ساءت حالته وضمر عوده واصفر وجهه وتآكلت ملابسه وبليت مع شحوب الوجه وطول شعر رأسه متسخاً متنافراً.

وحش يسكن الجبل إذا رأيته وكنت لا تعرفه من قبل وراح الناس ينفرون منه ولا يرغبون مجالسته أو الحديث معه وكثرة الأقاويل والقصص حوله .....حتى قال البعض وهو يقسم: أنه معاشر جنية من بني الجن ظهرت له بين النخيل أثناء عودته متأخراً وراودته فأخذته وأخذت عقله ،وهو يذهب دائما معها في فترة غيابه عن الناس ، وقد أنجب منها وقد رآهم معه الشيخ فايق وهم يلتفون حوله يلاعبهم ويلعبون معه .....

وكلما زادت الشائعات حوله انطوى أكثر مما كان من قبل عن الأنظار ، فّلما ضاقت به نفسه خرج من مخبأه ليرى الطريق أو يري الناس وقد يفاجئك على أحد الطرق ويمشي بجوارك دون أن تدري أو تحس به ....

لكن هناك قلة تعي أمره جيداً فلا تهتم بما يقال عنه بل جعلت في قلبها الرحمة فأوت إليه ومدت يده بالإحسان له والعطف عليه فقدمت تلك الأيادي الطعام والملبس وتقربت إليه وداً فأصبح يظهر من حين لأخر بملابس نظيفة وكأن الذين تعهدوا برعايته من الضياع قد أثمر مسعاهم رويداً رويدا راح يطل على الناس ولكن لا يشاركهم ولا يحادثهم إلا من نظرات عينيه تراقبهم وتنظر إليهم.

في صمت وسكون وإن حادثوه لا يرد ....!

❋❋❋

محمد وأكتوبر٣

ملَّ محمداً من تصرفات الناس ونظراتهم تجاهه فإحساسه الشديد تجاه نظراتهم جعله يفضل الغروب عنهم مرة ثانية فلا تراه في طريق ولا مسجد ولا سوق ،حتى ظن البعض أنه غرق في البحر أو أخذته صديقته

الجنية إلى العالم الأخر..عالم الجن ، لكن القدر كان يخبأ له أمراً لم يكن في خلده .

لقد أمسك به مخبر الشرطة وسلمه إلى قسم الشرطة شاكاً في أمره ؛ واحتجز بقسم الشرطة عدة أيام وبعد عمل التحريات اللازمة من قبل الشرطة والتأكد من سلامة بناه العقلي ، قررت الشرطة إرساله لقسم التعبئة التابع للقوات المسلحة لتجنيده، لأنه وافى السن القانوني للتجنيد وتعداه ويعتبر متخلفاً عن التجنيد من زملاءه وجُند محمد بالقوات المسلحة ضمن سلاح المشاة وأدمج في كتيبة ميكانيكية جندياً

أمضى محمد فترة التدريب لا يعلم من أمره شيئاً وشاء القدر أن يلتحق ضمن كتيبة مشاة ميكانيكية في الجيش ، ونظراً للحالة التي دخل بها القوات المسلحة فصوته خفيض هامس وكلامه قليل فما زالت العزلة تنازعه و يحتفظ بها مع مداومة على الصلاة وقرأته للقرآن الكريم وقد أطلق عليه زملاءه الشيخ محمد وكانوا يقدرونه ويجلونه كلهم دون استثناء أحداً منهم حتى رؤساءه وقادته كانوا يعاملوه معاملة طيبة ولا يكلفونه بأي خدمات شاقة لا يستطيع أداؤها نظراً لطيبة قلبه وضعف عوده بينهم ؛وكانوا يقدمونه للصلاة بهم كلما

حلت وقت الصلاة وبهذا وجد محمداً عوضا عما ترك وفرجاً مما كان هو فيه..

لقد أعادت العسكرية له الحياة من جديد ووجد فيها العون والعزاء على ما مضى من حياته وعمره وتخلصاً من عقدته التي كادت أن تذهب به وبعقله إلى الأبد ، فقد ذهب الحزن واندثرت الكآبة ووجد من يتحدث معهم ويحدثونه ولا ينظرون إليه نظرة المخبول أو الذي فقد عقله

فصام عن الأجازات التي كانت تمنح لزملائه فهو ليس في حاجة لها حتى لا يعود إلى ما كان قد تركه ويحاول نسيانه ، وبالرغم من اشتياقه لأمه وإخوته وأبيه ، لكنه يفضل أن يكون بعيداً عنهم حتى لا يغضب أبيه ويقتصر على قضاء أجازة قصيرة في القاهرة وخصوصاً في حي السيدة زينب أو عند مقام الحسين رضي الله عنه لكن قائده كان يراقبه عن كثب ويرى تصرفاته الهادئة التي تنم على مانع في النفس يجعل محمداً لا يألف طلب التصريح أو القيام بأجازات وهو ممن يقضون أوقاتاً طويلة بالكتيبة ولا يلجئون للأجازات.

استدعاه قائده في مكتبه وأجلسه بجانبه وقد أظهر له الود كصديق أو أخ عزيز ليتعرف على ما في خبيئته

وراح محمد يخرج من المكبوت في جوفه لقائده ويخر كالسيل من الهموم التي لاقاها قبل أن يجند ويلتحق بالجيش والقائد لا يقاطعه في حديثه وكأنه أحس به وما يدور في رحاه من كبت وما لقيه من تعنت من أبيه

فهم القائد كيف يعالج أمثال محمداً وكيف يخلصه مما هو فيه ، فقد عزف القائد على وتر التشجيع وراح يتقرب إليه شيئاً فشيئاً حتى قنع محمداً بالسفر إلى أهله وأن يقضي معهم أجازة طويلة قدمت له دون أن يتقدم لها تلك أول أجازة يجبر محمد على القيام لزيارة الأهل وقد مضى على وجوده عامان بالقوات المسلحة لم ير أبويه ولا إخوته.

فما أن وطئت قدماه الطريق التي تدخل إلى بلده وبدأ الناس ينظرونه ويتعرفوا عليه ويسلموا عليه وينظرون إلى وجهه وهم يهنئونه على سلامة الوصول من السفر فرأى محمد شيئاً أخر في وجوه الناس لم يألفه من قبل وقد بث ما رآه في سلوك الناس والبشاشة بشائر الحياة الجديدة التي تحمل في طياتها الفرح والتخلص من الماضي الكئيب ،وصل الخبر إلى أمه قبل أن يصل إلى الباب فوجدها تقف على الباب وهي تقدح (بالزغاريت)

وأبيه يقف بجانبها يتطلع ليلقاه ويحضنه فهو في لهف وشوق مثل أمه تماماً وإن كان قاسياً عليه.

ارتمى محمداً في حضن أمه وهو يقبل رأسها ويدها وأمه في ذهول وكأنها لم تصدق أن الذي أمامها هو ابنها التي فقدت في يوم أثره ، وراح أبوه ينزعه من صدره أمه ليضعه في حضنه وهو يهدر كالرعد من شدة الشوق لمحمد وتخر عيناه سيلاً وهو يقبل ولده الذي كان بالنسبة له مفقود لا أثر له.

كان اللقاء حارا لا يستطيع قلم وصفه مهما كانت براعة الكاتب ، فليس هناك ما يضارع به حنان الأم ولا عطف الأب وهما يتناوبان فيما بينهما على حضن محمد، حتى إخوته لم يكونوا بعيداً عن المشهد فقد تعلقوا به وهم يحمدون الله على سلامته ويهنئونه على الرجوع إليهم سالماً.

❁❁❁

محمد وأكتوبر ٤

سيل من عطف وحنان صب على محمد وهو يضمه إلى صدره حيناً ويرسله حيناً أخر وإخوته يدرون حوله ويلتفون مُعلقين بأردافه ملتصقين به ؛صورة تبعث في النفس الحنين وترق القلوب الغليظة وتوقظ شهية المودة

وتمسح ما علق في الأذهان من شوائب وفكر غير محمود أحاط به في فترة الكبوة التي أصابته ...

ولد محمد اليوم ،لم يكن له وجوداً من قبل هكذا الصورة تحكي وتجسد كل شئ ، قضى محمد فترة أجازته يطوف بشوارع القرية نظيفاً أنيقاً ، يسلم ويصافح كل من يقابله من الناس كأنه يقول لهم امسحوا ما علق بعقولكم عني فأنا لم أعاشر جنية ولم أك في يوم من الأيام مجنوناً ، بل عاقلاً أعي ما يدور حولي لكن الظروف والقدر وضعاني في تلك الصورة المزرية.

التي كانت أشد مني وأقوى . وهي التي خلقت بداخلي وحشي الذي جعلني أعتزلكم في فترة عصيبة لا أعادها الله مرة ثانية.

أنقضت أجازة محمد وقد استرد قواه وسمعته واسترجع حنين أبويه وقتل وحشه الذي كان ينمو بداخله .... رجع محمد إلى كتيبته بالقوات المسلحة وهو في ثوب جديد وحالة نفسية جيدة وقد هل هلال رمضان ويخط أول رسالة مكتوبة إلى أهله وإخوته يهنئهم فيها بحلول شهر رمضان المبارك ،

وكم كانت سعادة سعادته حين وضع الرسالة في صندوق بريد الكتيبة وكأنه أشتاق لهم بالرغم من قصر

فترة سفرة وعودته إلى كتيبته ، أما الأهل لا توصف اللحظة عندهم حين التفوا حول القاريء الذي جيء به ليقرأ لهم الرسالة بمجرد أن سلمها ساعي البريد لهم وقف الأستاذ حسنين وفض مظروف الرسالة وراح يقرأ.

بسم الله الرحمن الرحيم ... إلى أبي العزيز وأمي الغالية إلى أخي أحمد وأخي رجب وأخي خالد إلى أختي الغالية هدى ، أقسم بالله إنني اشتقت إليكم كما يشتاق الزرع إلى الماء ، والعليل إلى الشفاء ، والطفل إلى صدر أمه، والأرض الجدباء إلى المطر ، أعرفك يا أبي وأعرفك يا أمي أنني وصلت كتيبتي بسلامة الله وحمده والحمد الله أنا بخير ما دمتم أنتم بخير،ولا يكن عندكم شاغل من ناحيتي وأرجو من أبي أن يدعو لي ويسامحني، ويا أمي إياك تنسيني في دعاءك (ومتخافوش عليه أنا خلاص بقيت مبخافش) الجيش بيعلم الرجولة والشجاعة، وقبل ما أنسى أبعث سلامي لكل الأهل والأقارب فرداً فردا وخاصة الأخ سيد ابن عمي ضروري تسلمولي عليه، والسلام ختام من طرف زوج الجنية محمد هههههه.

وبهذه ختم الرسالة وكان كلما قرأ الأستاذ حسنين سلاماً طلبوا منه أن يعيد الكلام مرة ثانية وهم يهللون والأم ترفع يدها وتتضرع إلى الله أن يحميه ويحرسه

وتدعوا له بالسلامة والصحة والعافية وطول العمر والأب لم يدخر وسعاً بل جلس وخلع غطاء رأسه عمامته داعياً له بكل ما أوتي من فضل الدعاء وتيسر له.

كانت الأوامر قد صدرت للقادة والجنود للاستعداد والتحرك وحمل مهماتهم وأدواتهم المحمولة والإلتزام بالأوامر التي تصدر لهم وأن يكونوا على أهبة الاستعداد، وتحرك الجنود في كتائب وسرايا كلٌ حسب موقعه الموجه إليه فقد ظن البعض أنها مناورة من المناورات التي تعودوا عليها من آنٍ وأخر ولم يطرأ في ظن البعض إن ساعة الصفر للرحى تقترب بالرغم من وجود إشارات ودلائل تنبئ بشيء طال انتظاره غير المناورة ...! لكن ذلك ضمن استراتجية الدهاء والمفاجأة ، فالكثير لا يعرف إلي أين....؟ ولماذا هذا التحرك ؟

إنما الكل يعرف أنهم في حالة حرب والأرض مغتصبة والكرامة مفقودة على أثر النكسة التي شملت كل العرب ، الجميع متشوق للقتال مستعجل الحرب الكل يريد أن يسترد كرامته التي فقدت ومرغها العدو في التراب فما من بيت في مصر إلا وفيه شهيد أو مفقود أو مصاب بعاهة أقعدته وشلت حركته لقد مل الجميع من طول الانتظار حتى الصديق أصابه الشك في استرداد الكرامة

وقد اعتقد الصاحب والعدو بكل قوة لا مجال ولا قدرة لمصر على محاربة إسرائيل صاحبة الجيش الذي لا يقهر واليد القوية والذراع الطويل.

لكن أهل الاختصاص لم يفتروا ولو لحظة ولم يتركوا صغيرة و لا كبيرة عن العدو إلا ووضعوها في الحسبان ، حتى جعلوا العدو يزيد من غطرسته وتعاليه وخصوصاً عند قادته وفي استراجيتهم الغرورية ،لن تقوم حرب أخرى بعد حرب حزيران ١٩٦٧ فالعرب ماتوا إلى الأبد وأن المناورات التي تقوم بها الجيوش العربية سواء في مصر أو في سورية ما هي إلا أداة مسكنة لتهدئة الرأي العام العربي وكبح تمرد الشعوب على حكوماتها.

كان ذلك التصور قد حفر موطناً وسكنى وتغلل في وجدان القادة الإسرائيليين كبيرهم وصغيرهم ، حتى أن موشى ديان حين قدم له رئيس مخابراته تقريراً يفيد بوجود تحركات عسكرية على الجبهتين السورية والمصرية وتحركات غير معهودة توعز باحتمال نشوب حرب من قبل العرب ، ضحك موشى ديان ضحكة سخرية وتهكم ولم يعط للتقرير أي انتباه وقال:لرئيس مخابراته وكأنه يسخر منه ، وهو يقول: يبدو أنك ما زالت تخشى العرب أو يخيل إليك بوجود هؤلاء الذين ذكرتهم...!

فنصف ساعة كافية لقتلهم جميعاً ،فلا تهتم بمثل تلك التحركات فقد اعتادوا عليها.

قال موشى ديان ذلك وهو يعطي ظهره لرئيس مخابرته ،لكن أصحاب القرار كانوا على قدر من المسؤولية الوطنية وقدرة بارعة من الدهاء والتخطيط فكانت الروح المعنوية والإعداد الجيد للحرب قد أعطوا المقاتل أو الجندي العزيمة وللمثقف والرجل العادي والإصرار على خوض المعركة كان دافعاً أساسياً في الحفاظ على رباطة الجأش مهما كانت فترة الانتظار.

حانت ساعة الصفر ووقفت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة من ظهر السادس من أكتوبر لعام ١٩٧٣ ،وتوقفت البرامج وبث ميكرفون الإذاعة الموسيقى الوطنية والأناشيد الوطنية التي عادة لا تبث إلا في وقت الحرب .

سرعان ما جاء البيان الأول في الإذاعة المصرية والتلفزيون المصري يعلن تعرض قواتنا للهجوم من قبل العدو الإسرائيلي والتصدي للقوات المتعدية من قبل قواتنا المرابطة على الحدود غرب القناة.

ثم جاء البيان الثاني : يعلن فيه المتحدث العسكري بقيام الحرب ونجاح قواتنا في عبور قناة السويس

وضرب عدد من المواقع للعدو شرق القناة بواسطة طائراتنا المقاتلة ، جاء البيان حقيقياً من واقع المعركة بالرغم أن العمليات سبقت البيانات بعدة ساعات وكانت التحركات قمة في الدقة والتخطيط لعبور أكبر مانع مائي بالرغم من المعدات والكباري التي لا تف بالغرض وتحتاج إلى سرعة في التنفيذ استطاعت قواتنا وجنودنا التغلب على كل الصعاب التي كانت تقف عائقاً أمام رغبة النصر والإصرار على إعطاء العدو درساً لن ينساه.

كان العدو قد وضع من العراقيل والألغام التي تمنع من تقدم قواتنا شرق القناة أو العبور فبنا خطاً دافعياً من أقوى الخطوط الدفاعية في العالم (بارليف)، بنته إسرائيل من تبرعات الجاليات اليهودية في دول أوربا ومن المعونات العسكرية الأمريكية خصوصاً بارتفاع شاهق لا تستطيع أي مركبة حربية اعتلاءه ولا حتى طائر يستطيع أن يقف أعلاه إلا ورصدته أجهزتهم الرادارية ، لكن أهل الاختصاص والعسكريون المصريون درسوا هذا السد الدفاعي الذي قال عنه خبراء الحروب في جميع العالم أنه يتحاج إلى قنبلة ذرية تفوق قدرتها قنبلة هيروشيما اليابان أبان الحرب العالمية الثانية وقد وضعوا كل صغيرة وكبيرة في الحسبان ودرسوا جيداً مغازل العدو

وعرفوا كيف يفاجئوه بخططهم فما لبث أن انهار تماماً وأنهار بارليف أمام خراطيم المياه ، كما انهارت معنويات قادته وهم يصرخون عبر أجهزة الاتصال أو الخطوط الساخنة بشيطانهم الكبير (أمريكا) ألحقونا انتهت اليوم إسرائيل وانتهت إلى الأبد

كان البيان الأول للمعركة بمثابة قنبلة ذرية حطمت كل التقديرات المعلنة والمخفية وبدأ الخبراء العسكريون يعيدون حساباتهم من جديد على أثر الصدمة الغير متوقعة من قوة وذكاء المقاتل المصري فأصبح العالم في ذهول وفزع وينصت لما تقوله الإذاعة المصرية من بيانات حتى الأمريكان دهشوا وانتباههم الخوف قبل أن ينتاب قادة إسرائيل .

وهنا بدأ التهديد الأمريكي يلوح في الأفق فقد رأوا ما لم يتوقع من أن السلاح القديم في يد المقاتل المصري أستطاع أن يصنع أكبر معجز ة عسكرية في التاريخ الحديث.

ووقف الصديق مؤيداً ومؤازراً والجندي المصري يثبت كل يوم أنه أهلاً للنصر واسترداد الكرامة التي فقدت على أثر النكسة وتوغل الجندي المصري والمقاتل المصري حتى وصل الممرات على بعد خمسة عشر كيلو

متر شرق القناة وأسترد القنطرة وارتبك العدو ووقعت جنوده وضباطه أسرى في يد المقاتل المصري وعرضت الصور على الشاشات تكذب إدعاء الجيش الذي لا يقهر واستردت سورية الجولان بأكملها ولكنها فقدت جزء كبير بعد اليوم الثالث مباشرة وانعقد مجلس الأمن بسرعة لافتة وغير مسبوقة ، وأصدر قراره بوقف إطلاق النار وقد حدث أن كثف العدو هجومه على الجبهة السورية مما جعل الجيش المصري يضغط بقواته على العدو ويوسع في مناطق تواجده شرق القناة ضاغطة على العدو كي يخفف من ضرباته على الجبهة السورية.

ولقد كان من دواعي التوسع والضغط على العدو في الجبهة المصرية أن أوجد التوسع ثغرات بين القوات العابرة والتي استغلها العدو استغلالاً جيداً وكذلك الجسر الجوي الأمريكي والمساعدات الأمريكية فصعب الوضع على الجبهة السورية واستطاع العدو أن يسترجع ما استرده السوريون وظل الدعم الأمريكي الأوربي على أشده والأقمار الصناعية ترسل صور الجبهة وتحدد المناطق الضعيفة والتي يمكن الدخول فيها واختراقها لإرباك الجيش المصري وإتلاف خططه وإظهار إسرائيل

في وضع المتساوي أو المنتصر أو على الأقل الخروج بشئ في المفاوضات بعد وقف إطلاق النار.

وبالفعل استغل جيش إسرائيل دخول جزء غير قليل من القوات المصرية شرق القناة واستغل إحدى نقاط الضعف في منطقة البحيرات وعبر الجبهة غرب القناة وأنزل عدد من المركبات والآلات العسكرية وعدداً من الجنود عبر البحيرات المرة في منطقة الد فر سوار.

وراح يكثف من تواجده وتهديده للقوات المتواجدة غرب القناة حتى وصل أطراف مدينة السويس وهو يظن باستطاعته احتلالها فبدأ يلقي المنشورات على أهلها داعياً بالتسليم وإخلاء المدينة وتفريغها من سكانها حتى يسهل عليه احتلالها والسيطرة عليها لكن أهل السويس كانوا على قدم وساق مع إخوانهم وأبناءهم الجنود على الجبهة فتصدوا للقوات الإسرائيلية وكبدوها العديد من الدبابات والعربات المجنزرة والمدرعات وتقهقر العدو للخلف تاركاً مدينة السويس إلا أنه احتفظ ببعض المناطق غرب القناة والتي يتواجد فيها بعض الوحدات من الجيش الثالث الميداني وذلك تحت مرمي وبصر القادة العسكريين الذين أرجئوا التصفية لهؤلاء الإسرائيليين لحسابات

عندهم وكان هذا الإرجاء سبباً في توسع الثغرة وإطالة وجود العدو وتماديه في خططه ، وقد ظل الوضع كما هو عليه حشود عسكرية محاصرة لهؤلاء الجنود الصهاينة ؛وبعض من وحداتنا بالداخل حتى تم فك الاشتباك بيننا وبين العدو الصهيوني على أثر المفوضات.

❁❁❁

محمد وأكتوبره

كان محمد ضمن أحد الوحدات المحاصرة غرب القناة وكانت الإمدادات قليلة نظراً للحصار المضروب عليهم من قبل العدو الإسرائيلي ، فقد نفذ الطعام الذي بين يدي الجنود ، وبدأ الجوع يتسرب إلى بطونهم الخاوية فكانوا ينتظرون الصليب الأحمر ويتطلعون إليه طوال النهار فهو الوسيلة الوحيدة ، لاستمرارهم في الحياة وقتل الجوع الذي يحوي بطونهم وخاصة مع دخول فصل الشتاء واشتداد البرد ليلاً .

أنهم يرون عدوهم بالنهار على مرمى أبصارهم وكانوا يلوحون لبعضهم البعض فكلهم محاصرون ومطوقون بطوق شديد لا فكاك منه إلا بالمفاوضات ، أما بالليل فالحركة محسوبة لكلا الفريقين فلا مجال للابتعاد

والحركة فقد يطلق الخصم لهيبه عليك إذا أحس بحركة غير عادية أو أي شئ يريبه سيكون هدف للقنص.

وفي ذات ليلة ضغط الجوع بشدة على محمد ورفاقه فجلسوا يتدبرون أمرهم والجوع يكاد يقتلهم جميعاً إنهم يريدون سبيلاً أو منفذاً يأتي لهم بطعام بأي طعام في لحظتهم إنهم تحت رحمة الموت البطئ .

قال : أحدهم فليذهب واحداً منا وليتحسس موضعه جيداً وليكن حريصاً لأقصي درجة وهو يبحث لنا طعام في الأماكن التي كانت تتواجد فيها بعض الوحدات لعل وعسى أن يأتينا بشئ نأكله ، منهم من رفض ومنهم من وافق وبعد جدال لم يستمر كثيراً بينهم اتفقوا على أن يذهب أحدهم ويقوم بهذه المهمة الصعبة.

تبقي السؤال الأخير...! من هو صاحب الحظ الذي سوف يقوم بهذه المهمة ؟، قال أحدهم وهو يريد فك الاشتباك بينهم ، علينا بضرب القرعة فيما بيننا فمن تقع القرعة عليه سيكون هو المكلف بذلك المهمة،

قالوا جميعاً : آمين آمين.

وكل في سريرته يتمنى أن لا تقع عليه القرعة وقدم كل واحد ما يشير إليه من رمز واختاروا أحدهم لضرب القرعة ، فقد أشار جميعهم بالموافقة على محمد لضرب

القرعة نظراً لطيبته وصدقه وصلاحه ، فأبعدهم محمد عنه شيئاً يسيراً ووقف بعيداً وراح يمزج ما بيده حتى يتسنى له ضربها وحتى لا يكشفها أحدهم وأنتظر الكل إعلان النتيجة فإذا هي لمحمد،

رفض محمد القيام بما طلب منه نظراً للمخاطر التي قد تترتب على قيامه بها لو كشفه العدو المتربص أو إرتاب العدو من تحركاته وأطلق عليه النار لكن إصرار زملاءه وشدة الجوع جعله يعيد ضرب القرعة مرتين وفي كل مرة تخرج القرعة عليه، امتثل محمد ورضخ لأصحابه وزملاءه وهو يرى الجوع يأكل أفئدتهم أو يكاد يفنيهم جميعاً وهو معهم فسلم أمره إلى الله وشد سلاحه وسار ببطء شديد مرة زاحفاً على بطنه ومرة مطأطأ كاسراً ظهره وهو يبتعد رويداً رويدا عن زملاءه ووحدته المحاصرة ؛ونظراً للظلام وضعف بصره كان يتوقف ويجلس على ركبتيه يستكشف المكان ليعثر خوفاً من أن يضل الطريق ويقع أسيراً في قبضة الصهاينة أو يطلق عليه النار من قبل العدو المتربص بهم وهو مازال يبحث عن مكان الوحدة التي أشار رفاقه عليها له.

في تلك اللحظة ونظراً لشدة البرد أحس محمداً بأنه في حاجة للتبول ، وقف يتبول وطأطأ ظهره ومال ليلتقط

حجراً يقطع به بوله (يجمر) خوفاً من النجاسة فهو رجل مصلي ويخاف ويخشى أن تأتيه المنية وهو على غير طُهر ، أو على الأقل تظل ثيابه طاهرة لا ينجسها البول النازل منه فراح يتحسس الأرض تحت يديه كي يلتقط حجراً يقطع به بوله ، وأمسك بحجر ومد يده قبل أن ينتصب وإذا بأصوات تقطع السكون وتخدش الصمت وتحدق عيناه في الظلام وإذا يعيناه ترى ما لم يكن في الحسبان .....

سرية من جنود الجيش الإسرائيلي أمامه يرفعون أيدهم باستسلام ، لقد ألجمته المفاجئة وغاب عنه الوعي وكاد يفقد الكلام وأرتعش الجسد من أوله حتى أخره ؛ووقف شعر رأسه كالدبابيس المغروسة أو كأشواك النخيل وبدلاً من أن يقطع البول تركه يسترسل ويسيل بطريقة غير إرادية وقد رفع يده بالحجر ومد زراعه وهو مذهولاً مندهشاً لا يعرف ماذا يفعل وكيف يتصرف ...؟

وتأتي عناية الله من فوق سمواته ويرزقه الله إلهاماً ، فيستل سلاحه من على كتفه وتخرج الكلمات متحشرجة من فمه الله أكبر... الله أكبر الله أكبر. وشيئاً فشيئا يرتفع الصوت ليصل أذان رفاقه وقد استرد وعيه

تدريجياً؛ وراح يسوقهم أمامه كالراعي يسوق غنمه ويوجههم إلى حيث زملاءه ووحدته المحاصرة لقد صار صوته الضعيف كصوت الأسد إذا تعرض عرينه للهجوم ولم ينقطع صوته بالتكبير ... الله أكبر من فمه وقلبه وزملاءه ينتظرونه أن يأتي لهم بالطعام وهم بين مصدق ومكذب.

❋❋❋

حكايتي

كنت أشجو دائماً بما كان مقرراً في الكتاب المدرسي من أشعار وقصائد ، مغرم شغوف بالشعر لم أكتب شعراً في حينها لكني أحفظ المقرر من قصائد وأشجوا بها فعندي حب الأداء أو حسن الأداء وأميل إلى السجع وأهوى الخطابة ، أحفظ ما يلقى ، على مسامعي من أساتذتي من أبيات فترسخ في رأسي فأترنم بها أمام زملائي حيناً.

وحيناً أخر إذا طلب مني مدرس الفصل أن ألقي كلمة أو أشعاراً في طابور الصباح في المدرسة ، أو بعض ما يأتي به مدرسي من أشعار أو كلمة حديث نبوي من أحاديث رسول الله صل الله عليه وسلم من كتب السيرة كنت منذ الصغر أحبذ وأميل شغفاً بقراءة الروايات

والقصص البوليسية التي تعج بها مكتبة المدرسة أو أشتريها من بائع الجرائد شغوف بها.

فى ذات يوم خطت يدي شيئاً ، حسبته شعراً أو قصيدة بنيتها في لحظة لم أنساها ، كنت حينها طالب في الصف الأول الثانوي ،وكانت الدراسة قد بدأت وانتظمت وبدأ الشتاء يقبل ببرده القارس فأردت أن أشتري شيئاً من صوف يقيني برد الشتاء حين أخرج في الصباح مبكراً أثناء توجهي للدراسة وبين مسكني والمدرسة أربعة كيلو متراً في الخلاء لا يسترني شيئاً من منازل أو أبنية أحتمي بها حتى أصل للمدرسة ،قررت حينها الشراء.

رحت أتجول بين محلات بيع الملابس الجاهزة في تلك المدينة الشاسعة متنقلاً بين محلاتها ،كدت أرجع دون نتيجة وينتابني الأرق لكن شيئاً ما أوقفني..وتوقفت عند إحداها ،وقفت أنظر.

ونظرت للمعروض من الملابس الصوفية في واجهة المحل الزجاجية وأنا أقلب بصري وأتفقد الأسعار المكتوبة على الملابس لعلني أجد ما يناسبني في السعر وما يتناسب معي بما أحمله من نقود وكذلك الذوق الذي أرتضيه حينها وجدت فتاه تقاربني في العمر أو تزيد قليلاً تقف على باب محل الملابس وكأنها تراقبني سرعان ما

دعتني للدخول وهي ترحب بي وتطلق البشاشة على وجهها وترسم ابتسامة نضرة على الشفاة أحسست أنها وردة تتفتح أمامي كانت الفتاة متوسطة الطول لا تضع على رأسها غطاء تترك شعرها منسابا على كتفيها مقسوما بين الظهر والصدر ، خمرية اللون ملفوفة القوام مترابطة لا بأس بملامحها وتقاطيع وجهها أحسست أن الفتاه تدفعني للدخول، أو شيء ما يدفعني، وهي تبتسم وترحب . ما كدت أضع قدمي باب المحل حتى تفرقت مفاصلي وتناثرت عن بعضها البعض وانتابتني رعشة في جسدي وأحسست أن العرق راح يتصبب مني واللسان في فمي التجم وتلعثم وجدتها تسألني ولا أستطيع الرد أنظر إليها ولا أجيب ماذا تريد ؟

طلبك موجود....! ، أشرت بيدي على ما راق لي كان المحل خاوياً من الزبائن ما من غيري فيه وجدت قلبي مثل قلب الحمامة المذبوحة وقد انطلقت في الفضاء وراحت تضرب بجناحيها فرحة مسرورة بغية النجاة أحضرت لي معقداُ ودعتني للجلوس وارتقت سُلماً خشبياً به عدة درجات وأتت بكم من (البلوفرات)الصوفية متعددة الألوان والماركات ،وبدأت تفرد ما أتت به أمامي وهي تمدح فيما تعرض وتعرض ،وإبتسامتها لا تفارقها

ولا بشاشة الوجه رحت أتحسس بيدي ملمس الأقمشة المعروضة وأقارن بين هذا وذاك من حيث اللون والمقاس، والحقيقة أنني غبت عنها وذهبت إلى هناك...!

والحديث لم ينقطع بيني وبينها فقد خرج الحديث عن الشراء والبيع فسألتها عن اسمها .

قالت: عواطف قلت من أين أنت.

قالت : وهي تبتسم ، من حارة النحاسين.

قلت هل تعملين بالمحل بأجر؟ ، أم بنت صاحب المحل؟

قالت أنا بنت صاحبة المحل ، تبسمت لها وقلت لها أحسن ناس.

وهي بدورها سألتني نفس الأسئلة ، لكني لم أخبرها بكل شيء في داخلي فقد أخفيت عنها جل أمري.

إنها المرة الأولي في حياتي التي أتحدث فيها مع أنثى وهي المرة الأولى التي أحس فيها بشعور غريب غير الشعور ، كانت كلما نظرت إليها كانت تسبل أجفان عينيها فتسرق الأجفان وجدان وعي فتغيب مني جوارحي وتزداد دقات قلبي وأستبدل وجها غير وجهي أحسست بشعور لم أحس به من قبل ما هذا الذي يحدث لي.

كنت أظهر التماسك والترابط أمامها وأنا أشعر بالدوار يلفني وكأنها لم تؤثر في مثقال ذرة فجعلت أدفع بصري بعيداً عنها كأني أنظر للمعروض من الملابس في المحل حتى أُعْطِي انطباعاً لديها بأنني لم أتأثر بها وأنني رجل صلب جلد. طال الأمر بيننا وأمتد وأحسست أن الوقت حان للانصراف وخشيت أن يعود والدها ويراني في تلك الصورة ، فأعطيت موافقتي على بعض ما أتت به وأنا أظهر خجلاً منها وأدب حتى لا تدرك أنها فعلت بي شيئا في جوارحي؛ لقد وضعت ما اشتريت في كيس وناولتني إياه وهي تطلق إبتسامتها في وجهي وتدعوني للعودة إلى الشراء مرة أخرى ،عند خروجي أحسست أن في قدمي قيد من حديد لا يكاد ينفك كي أنطلق عنها ،وكان على أن أخرج فألزمت مفاصلي وأوصالي الترابط والتماسك عنوة ووضعت قدمي خارج المحل متشوق للعودة إليها مرة أخري راغباً في التواصل معها .

رجعت حيث أسكن حجرتي الطلابية التي أستأجرها في وقت الدراسة حيث أن المدرسة تقع في المحافظة التي تبعد عنا خمسة وعشرون كيلو متراً ،ولا يوجد بقريتنا مدرسة ثانوية ولا بالقرى التي تجاورنا ،حين وصلت إلى حجرتي وصلت جسداً بلا عقل لا وجدان فيه.

ألقيت ما في يدي على الفراش ثم ألقيت بجسدي خلفه ، لم ألق على زملائي الذين يقطنون معي السلام أو التحية .

غرقت غارقاً في بحري هائماً في سكري لم أسمعهم وهم يحادثوني ويسألوني ، لم أرهم حين ضحكوا أو تضاحكوا .قال كبيرهم : بكم اشتريت ؟ ومن أين أتيت بهذا لم أرد..! كأني لم أسمع...؟

لقد أخذني آخذا..! غرقت في بحري ما هذا الذي حدث أهو الحب الذي يقولون عنه؟ أم ماذا ؟

فأنا ليست من أصحاب الهوى وليست لي تجارب من قبل كالآخرين ، لم أذق طعم ما ذاقه غيري ، لقد كبلتني الدنيا بالقيود ؛فالتقمت العناء لقماً رجل البيت في وجود أبي ، ورجل البيت بعد رحيل أبي ، أسعى على سبعة إناث غيري وأمي ؛ذبت في الدنيا ذوبان الماء في اللبن والعود ما زال قاصراً ليناً لم يستقم بعد ...!

فقد حملت عبأ الحياة مبكراً على كاهلي ولم يكن عندي وقت لهذا الذي يعرفه غيري من أقراني من الشباب كانت جوارحي عمياءٌ ، صماءٌ لا تتكلم ولا ترى ،تغط في أميتها الذاتية.

فلقد منعتني الحياة عن الكثير وأقامت في وجهي السدود فلا أسامر أحداً من الشباب أو أسمع شيئاً مما يقال ويحكى عن الذي يسمى عند الناس (الحب والغرام) أو أمنح نفسى فرصة واحدة أتقابل فيها مع فتاه وأتحدث معها فلا عجب ..!

فلم يكن ذلك بالأمنية المحمودة فلا وقت عندي لذلك فلو أني سمعت شاباً يتكلم عن الحب والعواطف لاعتلتني الدهشة واعتلاني العجب كأن الذي يحكى أمامي أسطورة من الأساطير أو خيال يفوق إدراكي المحدود.

أليس بك رجولة ..؟ يا أيها الإنسان ما بك..؟

توفي أبي عليه رحمة الله وأسكنه فسيح جناته وبعده بعدة أشهر مرضت أمي مرضاً شديداً كاد يؤدي بحياتها وبعد جهد وعناء على أطباء المخ والأعصاب والباطن دب الشفاء فيها ودبت العافية في جسدها ، فكانت أول ما نطقت به وطلبته مني (الزواج)..

أتزوج..! تزوج يا ولدي ... رفضت في بداية الأمر وعارضت الفكرة بشدة لكن وجدت أمي مصرة على طلبها ورغبتها وملحة بقسوة وحتى بعضاً من الأقارب وكثير من الأهل والجيران رأوا أن في زواجي الخير والصواب بحجة أن أخوتي سوف يفارقون البيت عاجلاً

أو أجلاً كل واحدة ستذهب لبيت زوجها وسوف أحتاج لمن تقوم على رعايتي ورعاية البيت ورعاية أمي والسبب الرئيسي وهو المهم هو أن تري أمي لي خلفاً وذرية قبل أن يوافيها القدر وتموت.

ولداً ...! يا ولدي ....,يحمل اسمك ويظل البيت مفتوحاً.

كانت معارضتي شديدة في بداية الأمر سرعان ما خفت حدتها ولانت أمام طموح أمي ورغبتها في زواجي ذهبت إلى بعض الفتيات لكني لم أوفق ، فخطبت إليّ بنت أختها التي كانت تكبرني بثمانية أعوام وكأنها كانت تعد هي وأختها وتدبر في الخفاء أمراً لا أعلمه إلا بعد انقضاء الطلب وتنفيذ الأمر.

وبفضل هذا أصبحت الطالب المتزوج من بين زملائي وأنا ما زلت في الصف الأول الثانوي وزملائي لا يعلمون عني شيئاً إلا إذا قال وخبّر عني بعض من يعرفني من أهل قريتي وأقربائي لذلك لم أدخل مرحلة المراهقة ولم تكن لي تجارب مثل باقي الشباب أمثالي ،كنت الأميُ في الهوى والجاهل للعشق ، فلما جاءني ما جاءني كنت الأعمى وكنت البصير.

لقد جلست في مركبي وأبحرت في تيهي أجدف كأنني غارق أطلب النجاة أنظر إلى البر بعين الكرب لا أعرف له نهاية أمسكت قلمي حينها من تحت وسادتي وكراسي الذي يجاورني ؛وأسندت ظهري للجدار الذي يلازم فراشي وتركت ما حولي وغرقت في مسيري والقلم يكتب أول حروف في الشعر وفي الغرام وهو يسبح في بحر الهوى و يصيح كما تصيح جوارحي ووجداني مغرم بعواطفي هائم في تجلياتي عاشقا

❋❋❋

الشارد والشرفة

يأخذني الشارد كلما أويت إلى تلك الشرفة أجلس أطيل الجلوس ، أحتسي قدحاً من الشاي الملتهب تنتابني رعشة لا تهدأ ولا تفارق يدي أنظر هنا وأنظر هناك ولا أخشى أن يندلق الشاي على جسدي وثيابي ، بعضاً من الهواجس التي لا تنتمي.

تلك من ظاهرة الإرهاب التي لا تغادرني ، وإن كانت الشرفة هي التي تضمني ، أود أن لا تدركها العودة فترهبني كلما جلست أحتسي الشاي ، أعود إلى مقعدي

بالشرفة وأول رشفة أرتشفها يأتي من يمسك بلبابي راغب في فزعي .

أنهض من فوق المقعد وأنفر إلى الغرفة نشاط الأنفاس يتراجع في هدوء واسترجع ما علق بالصورة وتعلق بالذاكرة ، تأخذني الشوارد حيث أمتطي صهوة حصاني ، عند امتداد أول خيط للفجر أعرف الطريق ألبي نداء الصلاة و أطرح كل ترانيم الليل الفاسد وأي معتقد يذهب بي إلى درب التكاسل، حين أقف بين المصلين أعرف أنني كنت في غربة وإنني كنت مسافر في المجهول ،أهرع وأبدل ملابسي من رجس الذنوب ومجالسة بهيم الدواب ،أكتشف أن القميص الذي كنت أرتديه لا يستر عورتي.

في تلك اللحظة يطرق الباب بعنف وصوته مطلق في العنان يخدش خشوعي ، رغبتي أن لا استجيب للطارق . ثناء من خلف الكواليس ، إلى أين ذهبت؟

أقول: كما قلت : حيث يذهب كل مؤمنّ..! حمية الجهل تشتد في أوتارها ، يقذفني بعينان من جمر ولهب وقد سكبت من الأنفاس لهيبها أعود أدراجي إلى حجرتي وقد ردت روحي لن يموت من عرف طعم الحياة...!

،تحادثني شرفتي: إذا كان لديك إصرار فلدي رغبة. فَعُد فأنا في انتظارك.

أنظر للفضاء وأبتسم وأستجدي بالنظر فرجة أحك فروة رأسي بأظافري وأخلع اللثام عن وجهي وأنظر إلى الشرفة وأنا أمسك فنجان قهوتي فقد كرهت بعدها أن أحتسي الشاي وقد فارقتني رعشة يدي و كسرت أصفاد القفل.

❁❁❁

عودة الناي

جلس عمر وراح يشير للنادل رامزاً بأصبِعَيّ يده السبابة والإبهام وهو يوحي إليه بكوب من الشاي ليحتسيه.

كانت هي المرة الأولى التي يخفق فيها قلبه وتتسارع دقَّاته تحت أضلعه ، لم يخرج ويقابل أي فتاه أو أنثى، أما اليوم فهو مختلف عن الأيام السالفة واللحظة ستكون فاصلة.

راح يحادث نفسه قبل أن يحين اللقاء ، فليس لديه حصيلة غرامية أو كلاماً معسولا يجذب به فتاته إلَيه وَسيكون واقعياً معها لأقصى حد وسيكون صريحاً معها، وسيضع الصورة الحقيقة أمام عينيها دون تكلف.

أفقده النادل الشرود وهو يصيح فوق رأسه: "شاي" ليجمع ما تفرق من شتاته وَيعود إلى حظيرته ويمسك بكوب الشاي مُرْتَشِفاً أول رشفة منه.

فما إن رَفَعَ بصره حَتَّى وَجَدَ الفتاة في صحبة امرأة كانتا تقتربان من مقعده وأصبحا قاب قوسين له.

أصابه الرعاش فَتلقلق الكوب في يَدهِ نتيجة اضطرابِهِ لِيَسْقط على ملابسه، الأمر الذي دَفَع به للنهوض مَذعوراً، مطيحاً بمقعده وهو يرتد للخلف قبل أن يصاب جسده بالحروق بفعل الشاي المندلق عليه.

تقدمت المرأة المُفاجِئة وهي تمسك منديلاً ورقياً لتمسح ما علق به وعلى ملابسه من الشاي وهي تقول في نبرة المندهش من الصدفة سلامتك يا عمر(مصير الحي يتلاقى).

اختلس نظرة خاطفة إلى وجوه الجالسين خشية أن تدركه عيونهم وأدركه صوت الناي وقد كفر ....! بما رأى والذكرى مثلت والناي يعود

شروق الطريق

في رصانة الحجر يمثُل سعيه في الحصول على شريكة حياته ،يرسم ملامحها بريشة الخيال ، يشارك جثمانه جثمان صخرة عاتية يسكن صدر الطريق ويخامر رأس الحجر باستواء مقعدته ، يلثم وجهه وقد أضحى للمار شريكا ملازما كالأثر في صحن ميدان.

تغوص عيناه في وجوه المارات وقوامهن وشعر رؤوسهن المدلى ،ما أن بعُدت عنه وكادت تغيب حتى ينقل ميزانه إلى كعوب قدميها ،ويقارن بين استدارتها و توازنها في الخطى أو ظهور عرقوبها فهو لا يكل ولا يمل ,ولم يصل إلى مشهود المراد فيعود خالي الوفاض لا حصيلة لديه، مثل صائد الحمام خرج بشباكه لكن لم يحالفه الحظ فيرجع بلا حصيلة أو محصلة .

عشق النظر وحمل الطريق اسمه،تحولت المعاني عنده إلى كلمات ....والنظرات إلى جمرات.

ضاع وقته في التجوال وفقد بصره في الدروب ،لا يرى الأشياء ولا تراه , ولا يراها إلا بظواهرها المكشوفة..

يصنع ابتسامة على وجهه الغائر في ساحة الفضول ؛يدب في أوصاله همة العودة ، لم أحصل على مبتغاي

أأغلق على نفسي باب حجرتي قد يئست كل النساء. أصبحن كالطيور النادرة التي لا تصطادها شباك كأنهن شديدي المحال..!

ألقى بالمفتاح طي التراب وسكن وراح يعدو خلف السكينة وهو يأمل السكون ، قد مل النظرات التي لا تجدي ولا تأتي بثمارها ، كأنه لم يبذر حبوباً لتنمو والماء مفقود...

متى يهطل المطر ...؟ ويعود تدفق الماء للوجه أم سيصبح عالقا خلف الجدران ؟

آه آه .....!صفدت كل التوافد حتى الهواء فمتى عاد المطر انتعش الهواء وعادت الحياة؟

لقد روض الذي بداخله، روض الطفل العبثي بكثير من الحيل .

شدد على طفله الذي بداخله حتى يكون في طوعه، كان التقدم بطيئا وطفله عنيد شقي فاستجلده بكثير من العقاب.

أخافه، أرعبه، كلما وجد له صوتا ً كمم فاه بحث عن سلاح يهزم به عناده ويحد من عزيمة طفله كي يستريح لبابه، لا لن يكون دمية للأهواء.

لقد قطع شوطا بعيداً واستأثر لنفسه ؛وراح يركض،

كالبعير الجامح في الصحراء يسعى للماء لقد عان كثيرا من نظرات الناس له وتفننت الأيام في انصرافها عنه فما الذي أخذه من ميزانه البخس؟

هذه ضخمة الجسد وهذه نحيفة القوام أو هذه معتدلة لقد تساوت أمامه كفتى الميزان لقد ربح الهدوء والقناعة.. ماذا لو استبدل الحجر لصخري بالمسجد؟ ماذا لو تصفح كتابا ، أليس هذا أفضل من جلوسه مثل أبو الهول ؟

نعم : لقد صار يغمض عينيه حتى لا يتذكر لقد كان مضار....الفهم غير راقي الإحساس سيضع نفسه رهن أشارة أي امرأة ترضى به ولن يعود لتلك الطريق ..

طارق يطرق الباب وصوت ينادى؛ هبِّ يسعى لمعرفة الطارق على الباب يضع يده على المقبض يشده ناحيته، أنها إحدى جاراته النساء: أختي هي أنسب لك من دون النساء.

❋❋❋

شهادةورحيل

عاشق للصمت ، دربه الذي يؤهله للرحيل يقتات قوته وهو يبحر، لا يرفع أجفانه وإن طاف به طيفه رغباته كلها معبأة في أكياس ، يوزعها على حلمه

،يخبؤه الدجى تحت ستائره ، ويسكنه تحت خيامه يصنع نوافذه ليطل منها ،يود لو رأى بصيصاً يهديه للطريق ليعرف وجهته ،إنه كالبعير الضال في بيداء شاسعة وقد أرهقه التيه فكيف يصل إلى مبتغاه ؟

كيف يعرج إلى قمة التل ؟ .ود أن يري الأشياء كما هي، ود أن يسمح له بالمرور وأن يخرج من عنق الزجاجة، دجاه متحكم أرعن وكحله طاحن ودليله مضلٌ وضال ،تسعر أقدامه وينثر الجمر في طريقه يلهبه دائماً ،فلا رجاء منه معلون أيها الليل ومن تعلق بك َضحكت عليك الدنيا وباتت سراب،والبراكين تدفع حممها لتحرق حتى التراب ،يسأل نفسه لماذا طي الرحى ؟

أليس هناك من مخرج ومنفذ أنفذ منه ، و الوحدة تأكل أحشاءه ، ينتابه الضحك حتى يكاد يجن، ترسم على وجهه ابتسامة ، تعبئه غلاً يتذكر دائماً كلمة كانت لأمه تقولها ،(عمر الشقيّ بَقِي) وكأن الشقاء كتب على أصحاب العمر المديد وتحالفا ضده ،تعرضُ إبتسامته وتختفي حين تضيق الأنفاس وتتحشرج في الصدر. لماذا الحلم يغيب ...؟ولماذا يأتي ليساوره ؟ولماذا لم يسمع منها صوت الحظ ،وكيف ستتغير حياته وتتحقق أمانيه .

ليس هناك من يصلح معه ،وليس هناك غيرها يبتغيه ،علق حياته وتعلق في الأمل ، كلف أذنيه الجلوس والسكن ،في لبنات الحائط ، يعيش معها يعرف كل حركاتها وتحركاتها ، ويدق قلبه وتزيد دقاته كلما سمع صوت خربشة تقترب من بابه ، يود أن تنظر عيناها وترى بصيرتها ،هذا القلب السجين لها ،لم تصدق أذناه الصدى المقترب الذي أصغى إليه واقترب منه ،دنا أكثر حاول أن يكذب أذناه ، كان على وشك أن يقفل باب الرجاء ،هزته طرقات الباب الخشنة القوية ، والصوت الذكورى، مد يده يفتح الباب يستطلع أمر المنادي.

تبدلت ملامحه كأنه احتسى جرعة من الموت أفقدته توازنه ، جئنا إليك نبتغيك ونبغي شهادتك ، يحدق في الرجل وكأنه لا يراه ، شهادتي أنا ؟ نعم : ستشهد قال: أشهد أنك قتلت حلمي الذي كنت أنتظر .....! وقتلتني

الدمية وحسان

يشتاق المرء إلى امرأة تحتويه، تضمه تسعده يشتهيها حتى وإن كانت لا تفارقه أو يفارقها ، وإن جلست في بين أضلاعه أو سارت في أوردة وشرايين قلبه، تستوطن الفراش بظلها ويشتاقها قلبه ولا تغيب عنه أو ويرحل هو عنها تجلس في عقله وتسبح في روحه ولا يعيش هو في واد وهي في واد أخر هو لا يعرفه ، ولا تترك للرجل الجسد..... ، لكن تلك المرأة لم تجعل للحياة طعم، خالية النكهة ، والمرء في ذاته مشطور ، شطر ينازعه ، وشطراً بداخله أبلد لا يبوح .

يتحجر بفعل العوامل الانكشارية امرأة حجرية بكماء من صميم البهيم العجم، دمية لا تتحرك إلا إذا أدرتها وحركتها أصابع يدك، انطلقت بنات فكره تلصص وتلتمس طريقاً للنجاة أو حتى فرصة قد تكون مؤتية تلقي إليه بثمرة تقتل غول جوعه وتملئ دنه الفارغ وتجفف بحر السراب من أمام عينيه وتخرجه من صحرائه وتقتل في نفسه الظمأ.

يقلب حسان نظره في جموع الركب وينظر حوله وهو يسير على غير هدى ويطلق نوا ضره وهو يتفحص دميته ويقارن ...!

وقد حار فيها ، وأحس بعمقه يلتهب فهب واقفاً وقد حضر طيفها الذي لا يتركه أينما ذهب وراح يحرك دميته يميناً ..... يساراً ، يجلسها على الأرض .... يصفق في وجهها ولا يرى إلا العينان شاخصتان في وجهها تحدق فيه وتعود كما هي لتلقى على الأرض ،دمية .....!

كأنه يحاول أن يبعث فيها الحياة والدفء ، أن يجعل الدماء تدب في أوصالها ، أن يحرك عقلها في رأسها ، فليس هكذا تكون النساء ، لقد أعطوه ماكينة تعمل بالمازوت أو القطران فات زمانها وأنقرض صنفها عتيقة تلك الآلة والتي لا تعمل إلا بمفتاح وأوامر ميكانيكية ، فلا جدوى من المحاولة ، ود لو عصر رأسه ووضعه بين فكين من التروس .

أين يجد حاجته ؟ ،أين يجد قلبه الذي مات ؟ ،الأمر بات لا يطاق وهو عالق في مكانه يعصره الندم وتلعقه السنون كما يلعق الجسد العراء ، تلك تجربة لم تك حلمه ولم يردها ، كبلته الأعراف فصار قعيداً يبكي عمره الذي مضى ،و يصارع حلمه ولا يعرف ما بقى ...!،

فما زال أبو الهول جالساً ، رابضاً في بيته لم يتزحزح لم تأكله السنون ولم يتغير ولم تؤثر فيه أي

عوامل مناخية متقلبة ،الدنيا كلها تغيرت حتى وجه الأرض تغير وفتحيه لم تتغير ،إلى حد كبير تشبه أبو الهول ليس في صلابته وإنما في ضخامته وغموضه وصمته .

❋❋❋

ركب (حسان)

يقتفي أثر الركب وامتطى جواده سفره ورحل يبحث عن رفيق يكمل معه ما تبقى من حياته ، إنها المرة الأولى التي عمد فيها على اتخاذ قرار يفلت به من حبل المشنقة ، وقد تحطمت سعادته على وجه تلك الصخرة الجلداء .

تمنى لو أنها ماتت أو فارقته للأبد . خارت قواه وأضناه البحث وقد حط الرحال فأين يذهب؟

سنةٌ من نوم تأخذه على غرة وقد أسند رأسه لا يدري أين المقام . ويرتفع الصراخ ويعلو ويكثر البكاء ويشتد النحيب وتأتي (رقية) بنت أخته لتزف إليه الخبر المؤلم ، ماتت يا خالي .....! ماتت يا خالي ...؟

من يا رقية .؟

(مراتك) يا خالي أم هدية يا خالي كاد يتوقف قلبه عن النبض وهو يخفي في سريرته الفرح ، إنا لله وإنا إليه راجعون ،يا خالي .. زوجتك . زوجتي ؟ آه يا زوجتي وقد انبسطت سريرته وهو يكاد يطير لولا أن ربط الله على جأشه فكتم ما يحويه في داخله ،

فإذا بالدار قد اكتظ بالمعزين والأقارب والجيران رجالاً ونساء وهو يسرع لتحمل إلى مثواها الأخير ليتنفس بعدها ويطلق زفيره المكظوم من جوفه ، ويدخل ليخاطب أطفاله بوجه حزين مكتئب كأنه الحزين على فراقها والأطفال ينظرون إليه ويلتفون حوله باكين ثم يخرج ليتنفس بعض السعادة المكظومة وامتد السرادق بعد الدفن ثلاثة أيام قضاها حسان وهو في كامل سعادته وقد لفحته الشمس فعرق جبينه وفاق من حلمه على نداء...! حسان

حسان ... سبحان من له الدوام

فاطمة والكنز

لم تتوقف الأساطير عن الفرعون الراقد جثمانه تحت التراب والطلسم الذي لابد أن ينفك ليفتح باب السرداب الرجاء والأمل يلفان رأسه فكلما قرعت طبول ثورته الخيالية واقتربت صورة الثراء وباحت ألوانها في مخليته يأخذه الشغف في واللهف ، المدى لا يسعه وهو يحدق في الصورة الشاخصة في عينيه ووجدانه لا تغيب عنه ولا يرتفع بريق المعدن الأصفر عن عينيه.

حتى حين يصدح المؤذن بالآذان لا تصمت الطبول عن القرع ولا تذهب الصورة ، يسلق الصلاة سلقاً ويعقبها بالدعاء والتضرع ويعود إلي طريقه يبحث عن الفرعون الراقد مومياؤه تحت التراب ، دله أحد الدجالين المشعوذين على اقتفاء كتب السحر والتنجيم أو الاستعانة به أو فرد من عائلة السحر والتكهن ، أحس أنه وجد الحل أو اقترب منه وأنه قاب قوسين أو أدنى فقد وجد بغيته الفاسقة في شمس المعارف الكبرى لابن سينا العالم والفيلسوف وصاحب الموسوعة للمعارف السحرية وعالم الجن ليقتنيه ، يمضي الليل وهو جالس في بهو بيته وقد أطفأ السراج وقرأ من الطلاسم ما يستدعى به الجن أو العفريت المكلف لحماية الكنز .

وقد أطلق من أعواد البخور ما عبق الدار دخانا وأبخر وهو جالس مستعداً منتظراً الضيف الذي سوف يزوره قال له : المشعوذ أن ملك الجن الموكل بهذا الكنز هو (شختور بن بختور)وهو يحب إشعال النار وكثرة أطلاق البخور، وقد تعبأت الدار بسحائب الدخان حتى تعدت الرائحة أجواء المكان ،راح يُصْغِي بأذنه على الصوت القادم أو أي حركة وهو ينادي عفريته الموكل بحراسة الكنز المعنون ،لعله يستجيب ...والليل يمرق ويمضي ويذهب كما مضت سحب البخور وتتلاشى الرائحة ويأتي الضحى وترديه الوساوس فينام ولا تغمض له عين ولا يُسْبلُ له جفن.... ،وكأنه لا ييأس ولا يخشى شيئاً (فسلامة)أكبر دليل له لوجود هذا الفرعون وكنزه تحت التراب ، لكن سلامة لم يَثْبُتَ فقد أمتلكه الفزع والرعب أما الدهشة فقد كادت ترديه حينما رأى ما رآه من كنوز الفرعون وحلي وأقراط من ذهب ولؤلؤ وأحجار كريمة وأوثان ذهبية.

سلامة رأى الجن وظهر له ورآه بأم عينيه حين كان يبحث عنه ... قالها وسواسه الذي يجلس في عقله والذي يسكن تحت ضلوعه.

تذكر عبد السميع أن سلامة لم يخرج سالماً ، فإن كان خرج فقد خرج مخبولاً ولم يقدم شيئاً عما رآه أو يؤخذ به ،إلا من الهمهمات التي لا تفيد حتى الكلام ما عاد يخرج من ثناياه أو من بين شفتيه سليما ،لكن وسواسه لم يتركه فقد سكن رأسه قال له: وهو يروضه هل تريد أن تظل بينهم فقيراً معدوما؟

الكنز وصاحبه في انتظارك ، كنزك لا يقدر بثمن وأنت ما تزال متردداً ، قم : يا رجل ولا تخشى شيئاً فما عليك إلا أن تشد من عزمك وقوتك إذا خرج لك الخادم الموكل من الجن على صورة غير مألوفة فعادة ما يظهر الخادم بصور مفزعة للناس ليرهبهم ، وأنت صاحب قلب قاسي مثل الصخر فلن يصيبك مكروه يا عبد السميع ، فلن يصبك ما أصاب سلامة فسلامة ولد خرع وقلبه رقيق لم يحتملا قلبه ولا عينيه بريق الذهب اذهب فهذه أرازق مقسومة...!

ضحك وسواسه في وجهه ضحكة غير معتادة وانصرف ، تبسم عبد السميع كأنه وجد ما يحفزه على الاستمرار ، وأصدر قهقهة وفرقع وكرقع أصابع يده على لفحة حرارة الشمس وهي تلسعه ، كأنه يسخر من نفسه على التباطؤ في مسعاه لينال مراده ، فراح يستعيد

سواعده ، وكأنه جاءه النداء بالنهوض فاستجاب للمنادي حين ناداه منكباً على وجهه ، رجع وسواسه وهو يبتسم يا أبله : لقد قطعت في مشوارك الكثير ولم يتبق إلا القليل سيكون الحظ حليفك والمفتاح في يد فاطمة ،فاطمة نعم فاطمة ..! وما شأنها يا معتوه ، قال : لن يُنفكُ طلسم كنزك إلا بدم بكارة فتاه مثل فاطمة .....تقصد دم بكارتها.....؟ !.. نعم دم بكارتها ...! نعم دم بكارتها وفاطمة ما زالت بكراً..... وقد بدأت لعبتك فلا تتأخر ولا تتواني.

غاشية غشت رأسك يا عبد السميع ماذا؟ ، فإن لم تفعل ذلك فسوف يضيع منك الكنز ولا من سبيل إلا بدم طفل يكون وحيداً لوالديه يقدم قرباناً لآلهة الجن ينحر عند صدح الآذان لصلاة الفجر وهذا بالنسبة لك صعب المنال وقد أخبرتك بما يستوجب فعله فاختر إحداهما وأيسرهما لك فاطمة .

استيقظ عبد السميع من كابوسه لما رأى وجه شيطانه على طبيعته وشاهد بروز أسنانه وجحوظ عينيه ورأى ألسنة النار ترتفع وتخرج من فيه إلى عنان السماء وقد كشر وأطبق على نواجذه وهو يصرخ في وجهه.... فاطمة ... فاطمة لا ، لا... يا مغفل وإلا...!

أخذه الدوار كأنه في حالة صرع وراح يجاهد ليجمع شرود عقله من أشتات الظلام والخيال وليقشع الرماد من فوق لبه ومن على وجهه والرعشة تنتابه ويهتز جزعاً ويتصبب عرقاً جبينه ، وتغرغر عيناه وتكتظ الروح كأنها تفيض إلى بارئها وكأنه تلقم كرات ثلج من زمهرير الشتاء أو كرات من جمر وقطران فأطبق منكبيه على رأسه وهو يدسه وقد أخسف رأسه بينهما خرج عبد السميع على رأسه لا يعرف منتهاه ومراده، شن حرباً ضارية على هذا الخيال ، وسارع ليخمد اللهيب الذي اشتعل في رأسه ووجدانه ، وقد أقبل على رفاقه الذين تعود أو اعتاد منهم الصفاء ويروق له صحبتهم ويسعد بوجودهم بجواره وهم على أطراف النخيل أو بين ثنايا الأغصان على الأشجار يتدثرون بظل أوراق الشجر يتناقلون الحديث فيما بينهم في مودة وألفة .

مرت اللحظات وهو ينعم بهم ولا يفارقهم وهو يخشى العودة خوفاً من عفريته إذا حلّ الظلام وهو ينظر إليهم ويناديهم وينظر تارة للشمس كأنه يرجوها أن تبطئ من حركتها فلا تغيب ولا يرحلون عنه وقد أرعبه ما طاف به ورآه.

تثاقلت خطاه وهو يعود أدراجه ،وقد سرى في وجدانه و داهمه أمراً جديداً ....! أخذته قدماه حيث باب المسجد ومد قدمه ليقف على أعتابه وقد علا صوت المؤذن من مكبر الصوت الذي اخترق السكون لصلاة المغرب ،امتثالاً للمأخذ الذي نضج في قدره واستقوى به على خوفه ورعبه وليمحو ظلام لبه ،مد يده ليمسح ما أسيل من ماء الوضوء الساقط من على وجهه ، وقف ويده ما زالت تقف على وجهه...!

ماذا لو لم يلعب الحظ لعبته ؟ وافتضح الأمر ، كلمة قالها وهو يسند ظهره ليستريح من هم داهمه وربض على قلبه ، الجيرة .....!،يا عبد السميع الجيرة .....! والدين ، أيكون المقابل الجرح وقتل الإحسان ؟

غامض أيها الساكن في داخلي ما هذا بسلوك مؤمن ؟ نعم حتى لو كانت تكبرني في العمر ، أو حتى لم يك بيني وبينها سابق وقبول ، أخضعته الصلاة للرقيب وقد جلس بين يدي المحاسب بين مد وجزر ، واحتبست أنفاسه بداخله وترقرقت عيناه دمعاً وقد خرج من باب المسجد وأشعل لفافة تبغ من صندوقه الورقي المصاحب يده ،وانحاز ناحية الفراغ ،

قد حان وقت الفرار والهروب سأفرغ كل الأكياس التي تعبأت في الظلام،مالي وفرعون وكنوزه الغارقة فليظل غارقاً تحت التراب، الذائقة لا تستسيغ ولا عادت تهوى ما لم تقبله الوجدان، سأفر وأهرب وفراري سيكون إلى الله ربي، ما شأن فاطمة بفقري.؟ وما ذنب طفل يقتل جهلاً وغدراً ملعونة تلك الدنيا وملعونة تلك الفلوس فاض الدمع وسال على خده ؟

أأقتل فرحتها، سأطوي المسافة التي تباعد بيننا أعلم أن الشمس تشرق كل صباح ولا أرها، اليوم أشرقت مرة واحدة ولن تغرب عن عيني، قال محدثه وصاحبه الجديد: هذا ثوبك الذي أعددته لك، ما أظنك سوف تخلعه من على جسدك بعد الآن، فليذهب سلامة كما ذهب غيره وليذهب فرعون بكنوزه في غمر الجحيم.

لقد كنت أركض خلف الوهم والسراب كفى عزفاً على وتر الفضول تطلع وراح يصافح بعينه وجه فاطمة وكأنه شعر بالغربة عنها لما رآها ومد خطاه إلى رحابها وكأنه يشعرها بالقدوم إليها، هناك على مرمى البصر يجلس الحاج إبراهيم يمسك مسبحته وهو يسند ظهره على جدار مئذنة المقام الزينبي وصدى المادحين يهز الجسد ليرعش جسد القادم إليه حين غمره نسيم الصواب ويمد

يده ويمسك يد الحاج إبراهيم وقد غررت عيناه وراح يقبلها...

لحظات فارقة

بدأ الهجيع الأخير من الليل يطوى ذيله و امتداد خيط الفجر الناشط في بوح السماء ،لم تطأ أضلاعها الفراش منذ فترة، مؤرقة حبيسة بين دواخلها، جليدة عنيدة استطاعت بصبرها أن تحيد تواجده وحضوره فحفظت رأسها وجسدها أحاطت مخدعها بعبير السكينة ؛وأزاحت الأرق فعلت وتيرة الأحلام.

فألزمت نفسها القناعة وأسكنت نفسها الهدوء، تنام فوق وسادتها فتسبل الأجفان قبل أن تتمدد أطرافها، صافية راضية فقنعت بالواقع وآمنت بالقدر لم يك إهمال منها وإنما هي الوضع الذي رأته...!

جعلها تقنع بالواقع ، لديها قدراً من طمأنينة النفس وقد عصرتها ,وسيلة ، شاغلت ذاتها بالحركة والإنغماس في الحياة ، واعتادت الحياة فعودت نفسها على الحركة والكد والعرق لاتكل ولا تمل فأصبحت لا تبالي بما يقال، وكأنها لا تخفى بين ضلوعها هم ثقيل وألم دفين ، فتبارت البشاشة على صفحة الوجه كاظمة ما بداخلها لا يعلم مخلوق بما يكمن .

لا يستطيع المرء التنبؤ بما مكنون فذلك عند علام الغيوب وقد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن فيصبح أسير اللجاجة بين مد وجزر وعواصف ورياح لقد كان الليل على وشك الزوال ، فمن الذي يطرق الباب ؟في هذا الوقت المتأخر من الليل لم يخالجها الظن ،أو أي هاجس أن يطرق بابها فما من أحد ما يأتي في تلك اللحظة ليطرق باب من تركت كل شيء بالعناد .....

أسندت رأسها مرة ثانية وكأنها تكذب أذنها وظنت أن الريح قد أحدثت بالباب صوتا يشبه ما يفعله الطارق فغلق الباب غير مثبت جيداً فإذا حرك الهواء الباب أحدث صوتاً كالطارق يطرق عليه، كادت تغفو عيناها مرة ثانية ؛لولا معاودة الطارق عليها الطرق مرة ثانية وصوت يأتي كأنه يهامسها ويستجدى منها اليقظة الصحو لتفتح له كان الطارق يدق بحذر ويدير في مغلق الباب شيئاً ليفتح دون أن يزعج أحدا في تلك الساعة من الجيران استوعبت النداء أكثر لكن غاب عنها اليقين....!

فوثبت على حذر تتحسس خطاها وقد مدت يدها أمامها كالعمياء حتى لا تصطدم بشيء وراحت تخطوا ناحية الباب ومشت على أطرافها ويدها تسبقها في الظلام غير عابئة ،تستوضح الطارق قبل أن يكون لها يفاجئها

وهي تلملم شجاعتها والتصقت بوجه الحائط ؛ وهي تضع أذنها وتصغي إلى الباب، كأنها تشم رائحة اعتادت أن تشمها من قبل ؛قالت وقد رفعت من نبرة صوتها من الطارق ، وجاء صوت الجواب كأنه يأتي بعيد، صوت مستغيث متلهف جاءها ينهي فقدانه وموته ولا يدرج في سجل الأموات أو يدرج بين السطور مفقود ....!

❋❋❋

لحظة٢

من خلال مساحة التراجع والانبلاج وشد قبضة اليد المرتعشة القابضة على الباب توقد البصر في بحثه متحفزا للرؤية وتسارعت ضربات القلب حيث تقاربت دقاته والأوصال التي خارت للهبوط واليد التي إنتابها الرعاش ، العيون التي توقفت لحظة غاب فيها العقل مع هبوط مؤشر الإدراك إلى ما قبل خط العد المدرج ؛فنضح الجلد عرقه تلك الصورة، التي لم تك في الحسبان , والدهشة التي صرخت في الوجدان، والشبح الذي تماثل للتو ولم يك على أي بال ،

يا الله ... أجن هذا.....؟

أم هو مخلوق من فيصل آخر غير البشر ؟. خلق لا يشبهنا ولا نعرفه من خلق الله؟ غيبوبة...! وتيه تملك

الرأس ، لا همس ، ولا حركة لحظة من صمت وتوقف اللسان...!

صمٌ؛ بكمٌ ؛عم..! بعدها لا تسأل أين الأواصر؟ من يأخذ بيدها؟ من يرفع يرفع جسدها من على الأرض؟ الصورة كانت كافية ....! عالجتها علاج المصارع في حلبة المصارعة، الضربة القاضية....! التي تُنْهِي الصراع من أول شوط في المباراة...!

كانت هناك صورة أخرى تقبع داخلها ! عالقة فوق جدران خيالها ؛ماذا تقول ؟

هل سرق اللصوص من خيالها الصورة ؟ هل استبدلوها بأخرى ؟

تلك الصورة التي مثلت أمامها ؛أم أن هذا من عبثية الليل والريح العاتية فدفعت بتلك الصورة لتعلق على جدران حوائطها ، الخيال غير الحقيقة والمشاهدة كل الحقيقة، فركت بكفيها عينيها كأنها تمحو ما علق بهما من ملص، أو خشيت أن يكون أصابها بهما رمد.....!

نظرت وقد حدقت مقلتيها ويعود الإدراك حيث يجد في الرأس مساحة ،وتمد يدها تتحسس كأنها أفاقت من غيبوبة طويلة أخذتها بعيداً.

تلمس أناملها جسده تقربه إلى صدرها كطفل عاد بعد فراق إلى صدر أمه ، نعم هو، لكن لم يك بتلك الصورة.

راحت تقبل وجهه وهي تغمض عينيها ؛تعوقها اللحية الكثة فلم تبالي ولم تهتم حتى وإن تبعثرت في سماء وجهه، وراحت تبحث عن مساحة خالية جرداء في صفحتي وجهه كي تستشعر بالدفء الذي تجعد مع الفراق متوازيا مع البثور والتجاعيد ؛ليغمر صفحة الوجه ويشبع النفس فتور ، كالطعام إن غاب أحس المرء بالجوع ، وراحت تراوده السكينة لتبعد الصورة العالقة التي كانت تسكن جدرانها .

اللحظة فارقة .....!وقد بات أمامها تنظره تتأمل تفاصيله الجديدة هيكله العظمي الجديد الذي لا يحميه شيئاً من اللحم غير جلده البالي الذي بات يغطيه ، والرائحة الجديدة التي اكتسبها من كهف الغربة والضياع ،وثوبه الرث الذي حمل معه أثر العذاب الذي لقيه .....! تأخذه بين ذراعيها وتمشي به حيث كان يجلس معها كأنها تود أن تعود به أو تعود هي بالماضي ؛تضعه فوق فراشه الذي كان يجمع بينهما ، والحجرة التي اشتاقت إليهما وكم كان فراشهما ينادي ؟، وكم انتظر،؟ وكم نادي عليه ونادت عليه؟

تمد يدها إلى مصباح غازي فتطيل فتيله لأعلى كي تزداد قوة ضوءه وتزيد الرؤية لديها، في الحجرة العتماء كان مستسلما فاقد القدرة عن الحركة والكلام جسداً بلا روح ، أو جيفة جاءت إليها من الباب أو سقطت عليها من عل ، دارت حوله وجلست تحت قدميه وراحت تفك رباط حذاءه البالي المترب وتنزع عنه التراب الذي علق به ، وقد زاد ضوء المصباح في عينيه الرؤية فتحركت رأسه وبدأت عيناه تدوران

السقف ، الجدران ، الأرض التي يضع قدميه عليها الحجرة التي كم اشتاق إليها والسرير الذي ود رؤيته و الذي تركه من سنين ، لم يتغير أي شئ من هذا كله ..هو فقط الذي تغير ...أشياء أخرى لم تحضر في مخيلته ؛لم يتذكرها حتى وإن كانت ما كانت كل شيء كما هو لم يتغير حتى غطاء الوسادة أو غطاء السرير تركته يبحث عن الماضي في الجدران والسقف وأشعلت الموقد لتدفئ له الماء لتغسله من عناء الغربة والعذاب ولم يتوقف لسانها عن التهليل والحمد والشكر بالعودة كأنها تهنئ نفسها أو تخفف عنه جزء من العذاب.....

والسؤال على طرف اللسان ولم تجرؤ على أن تسأله لماذا كل هذا .....؟

لحظة ٣

وضعته على راحتيها وكفيها ، كفاً يسند عوده وكف يجول حول جسده الواهن على ريش أضلعه ، كي تمحو العالق على الجلد البالي من الصديد ، يوحي منظره لمن يراه أنه قد طليّ بطلاء داكن ذو رائحة نفاذة امتزج الطلاء بعناصر عدة من التراب والتصق بالغراء فاشتدت صلابته وتماسكه على الجلد ، فصار كثوب نسج من قطران أُلقى على جدران منزل كان أبيضاً فشوهه وشوه البناء وجعله متهالك،

الماء المسكوب وحده لا يكفي لإزاحة العالق الملتصق فهو يحتاج إلى يد ماهرة بآلة حادة كي تستطيع قشط المتراكم على الجلد ، أوتكون لها درايةً في دبغ الجلود ومن غيرها وتصلح فى ذلك.

راحت تصب الماء بيد على رأسه وجسمه ؛واليد الأخرى تمحو العالق وهي قابضة على حجر به بروز (خُرفُوشَةً)يستعملها أهل الريف في حمومهم ويحبذها النساء في إزالة العالق من الأوساخ بكعوبهن ، بعض

الناس يسمونها حَكَاكَةً ، فما الذي يمحي هذا الطلاء الداكن غير هذه الأداة أو تلك الآلة ؟

آه لو..... ألقيت نظرة على الماء المستعمل في هذه العملية ؛لرأيت صورتين مغايرتين، صورة للماء المسكوب على الرأس فهو ماء رقراق رائق أبيض لا شئ يعكر صفوه ؛وصورة للماء المستخدم المحتجز تحت قدميه ومقعدته الشمطاء،لقلت سبحان الله.

زبد من طين مزج بالماء فخف تماسكه وقوامه وتغيرت حالته فصار لونه قاتم ورائحة نفاذة الحق يقال :إنها ماهرة جلدة ذات قوة وصبر داعية للدهشة في الوفاء والنفس الطيبة لقد اعتبرت ما بين يديها ما هو بجلد شاة يُعَدُ للدبغ أو هو قربة للماء لحفظه أو لحفظ اللبن ،وها هي تنظفه من الدهون وما تبقي به من وبر

كانت قد انتهت من غسله فألقت عليه بملاءة قطنية تلفه وتستره بها وتدثره لقد أحكمت لفه وتدثيره جيدا كطفل تخشى عليه من برودة الجو حتى لا يأخذ برداً.. خطت تصاحبه وهى تسند عوده الرخو لتلبسه ملابسه التي ظلت حبيسة صرة وصندوق خشبي ؛أكلتهما جفاء الغياب من جوانبهما هنا حدثت فرجة للحياة وهي تسري سرى الحسيس بهذا الجسد الواهن فراح الدم

يتدفق في العروق الضامرة ويسلك طريقه في جسده ؛كأنه كالأرض القفرة التي غاب عنها الغيث حتى كادت تموت فلما نزل الغيث اهتزت ربت فتفتحت مسام جلده ووضحت بشرته وتبسم وجهه ؛فلما سقط بدأت الصورة تبوح للناظر بقرب رجوع الحياة...

كانت ذات بداهة وعقل صنعت له طعام ترد به خواءه، وهيأته له ليمثل أمامه وبين يديه ، فما أن رآها ونظرت عيناه الطعام، حتى انتابته العجلة واللهف فلم يستطع الإنتظار، فقد راحت أحشاءه تصرخ وأمعاءه تتلوى في بطنه الضامر ؛ما أن وضعت الطعام على المائدة أمامه حتى غرقت يداه في أطباقها وقد أطربها صوت مأكله وهو يمضغ الطعام وتقول وهي تنظر لا عدمك بيتك ولا عدمتك.....أبداً.

الكاتب فى سطور

الاسم: سيد يوسف مرسي حسين

اللقب: سيد الجهني

وذلك لنسبه إلى قبيلة جهينة بمصر – محافظة سوهاج

مواليد: ١٩٥٧/١٢/٣١م بقرية باصونة ضمن أعمال مركز المراغة الآن

العمل: كبير فنين متقاعد بشركة مصر للألمونيوم بنجع حمادي

يكتب الشعر والقصة

صدر للمؤلف

- مجموعة قصصية (حكاياتي المقاهية)
- (رحلة بين جدران) قصائد نثرية وشعر حر
- (حين يحلم القلم) قصائد نثرية وأشعار
- (أنين الأشجار) أشعار عامية وزجل
- (سكة خلاص) أشعار عامية وزجل ومربعات فن الواو
- (نبؤة أقلام) ديوان جماعي
- (جسر الحروف) ديوان جماعي

حصل الكاتب على العديد من شهادات التقدير والأوسمة من خلال مشاركته في المسابقات المطروحة من المؤسسات الثقافية والأدبية منها:

١- منتديات قناديل الفكر
٢- منتدى بيت الشعر العربي الغنائي
٣- رابطة محبي اللغة العربية
٤- مؤسسة عبد القادر الحسيني
٥- منتديات نبع العواطف الأدبية
٦- منتديات أوتار الأدبية
٧- منتديات ياهو الأدبية
٨- ملتقى رابطة الواحة الأدبية الثقافية
٩- منتدى تراتيل الحروف الذهبية
١٠- منتديات رياض الأنس الأدبية
١١- الدرر الأدبية
١٢- همس الثقافة الأدبي
١٣- جمعية أبداع الثقافة
١٤- المؤسسة العربية للأدب والفنون إتحاد الكتاب والأدباء العرب

محتويات الفهرس

م	العمل	رقم الصفحة
١	الفصل الأول ثوب من غزل الحياة	١
٢	الفصل الثاني متى تصل الطريق؟	٥
٣	الفصل الثالث	١٠
٤	الفصل الرابع	
٥	الفصل الخامس	١٨
٦	الفصل السادس	٢٠
٧	الفصل السابع رحى الغيرة	٢٥
٨	الفصل الثامن نافذة الفرج	٢٧
٩	الفصل التاسع	٣٠
١٠	عودة	٣٤
١١	ركلة سديدة	٣٤
١٢	الرسالة	٣٥
١٣	مرعبة	٣٦
١٤	لقاء	٣٦
١٥	رحلة ورحيل	٣٧
١٦	ختام	٣٧
١٧	النهاية	٣٧
١٨	لماذا أفقد مقعدي	٣٨
١٩	كنت أظنه	٣٨
٢٠	غريق الدجى	٣٨

م	العمل	رقم الصفحة
٢١	طهارة	٣٩
٢٢	مخادع	٣٩
٢٣	هروب	٣٩
٢٤	قالت..!	٤٠
٢٥	سألتني	٤٠
٢٦	سفر	٤١
٢٧	الزائفة	٤١
٢٨	هي وأنا وأبي	٤١
٢٩	سجين	٤٢
٣٠	سر	٤٣
٣١	رحلة في الفضاء	٤٣
٣٢	الحاج يوسف	٤٣
٣٣	محمد وأكتوبر	٤٤
٣٤	محمد وأكتوبر٢	٤٧
٣٥	محمد وأكتوبر٣	٤٩
٣٦	محمد وأكتوبر٤	٥٣
٣٧	محمد وأكتوبر٥	٦٣
٣٨	حكايتي	٦٧
٣٩	الشارد والشرفة	٧٥
٤٠	عودة الناي	٧٧
٤١	شروق الطريق	٧٩

م	العمل	رقم الصفحة
٤٢	شهادة ورحيل	٨١
٤٣	الدمية وحسان	٨٤
٤٤	ركب حسان	٨٦
٤٥	فاطمة والكنز	٨٨
٤٦	لحظات فارقة	٩٥
٤٧	لحظة٢	٩٧
٤٨	لحظة٣	١٠١